ثقافات الشعوب





ساحر المطر

حكايات شعبية من أستراليا

جمع: ك. لانغلو باركر

ترجمة: ريما الجباعي

ساحر المطر

حكايات شعبية من أستراليا

جمع:
ك. لانغلو باركر

ترجمة:
ريما الجباعي







ساحر المطر

حكايات شعبية من أستراليا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

ساحر المطر: حكايات شعبية من استراليا

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR365. P2712 2009
Parker, K. Langloh(Katie Langloh), 1856-1940.
[Australian Legendary Tales]

ساحر المطر: حكايات شعبية من أستراليا/ جمع: ك. لانغلو باركر؛ ترجمة: ريما الجباعي.
– ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
182ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 0- 315-01-978-9948
ترجمة كتاب: Australian Legendary Tales
1 – القصص الشعبية الأسترالية. 2 – الحكايات الأسترالية.
أ– الجباعي، ريما. ب– العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النثان



كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تمهيد	9
تقديم	15
دينوان طائر الأمو وغومبل غابون الحبارى	25
غالا الببغاء وأولاه الضبّ	31
باهلو القمر والدينز السكان السود	33
أصل بحيرة ناران	36
غولو العقعق وواروغا الأطفال	42
الويونيبون وبيغابيلا	48
بوتولغا الكركي وجونر الكنغر الفأر، مكتشفا النار	54
ويدا الطائر المحاكي	62
غوين بو أبو الحناء أو ذو الصدر الأحمر	68
الـ ميمي أو الشقيقات السبع	74
كوكوبوراه وغولاغول	83
الـ مياماه	86
الـ بن بن دولاي	88
أونايرواه وجويناري	92
نارادارن الخفاش	94
موليانغا نجمة الصباح	100
غومبل غابون الأمو وبيارغا الصقر وأويان الكروان	104

موريغو البوم وباهلو القمر	108
أويان الكروان	110
دينوان الأمو ووان الغرابان	114
غولاوليل طائر الحمام ذو القبرة	116
غونير الطبيبة	119
ديريري طائر الذّعرة وقوس قزح	128
موريغو البوم ومونينغوغاغول طائر البعوض	131
بوغودوغادا طائر المطر	136
بورا الحكيم بيامي	140
بانياريل الذباب وويرانانا النحل	156
ديغنبويا الطائر– الجندي	158
ميرا الريح التي تطرد الشتاء	169
ويامبا سلحفاة الماء	171
الكاهن صانع المطر	175

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيف، كان متحققاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تمهيد

دُهشت إحدى جاراتي عندما ذكرت أمامها عزمي على جمع الأساطير الفلكلورية لقبيلة السود[1] التي عرفتها جيداً من خلال عيشي في هذه المزرعة، فهتفت: «ولكن هل للسود أي أساطير؟». إلى هذا الحد يبدو أن الناس يمكن أن يعيشوا في بلد ما من دون أن يعرفوا عن سكانه الأصليين سوى القليل جداً. ورغم أنه من المرجّح وجود الكثير من الذين يعرفون تلك الأساطير، إلا أنني أعتقد أن هذه هي المحاولة الأولى لجمع أساطير قبيلة بعينها، ونشرها بمفردها. وأنا على يقين من أنه لم تكن هناك أي بادرة في الماضي لجمع الأساطير الشعبية لقبيلة «نون غابورا» Noongahburrah، وهي واحدة من أشهر قبائل السكان الأصليين في أستراليا.

---

(1) يسهل لمس الروح العنصرية في إطلاق وصف «السود» بهذه الطريقة على السكان الأصليين لكنه ينتمي إلى المزاج الاستعماري العام الذي كان لا يزال سائداً في بدايات القرن العشرين (م).

لذلك واستناداً لشهادة البروفيسور ماكس ميلر[1]، حين قال إن فلكلور أي بلد لهو جدير بالجمع. فها أنا أتشجّع لأقدّم محاولتي المتواضعة في جمع هذه الأساطير وتقديمها للعموم. ربما هناك الكثير ممن يعرفون هذه القصص ولا يرون أنها تستحق التدوين، ولكن آمل أن يكون هناك أيضاً كثيرون ممن يشاركونني الرأي بأننا يجب أن نحاول ذلك، قبل أن يفوت الأوان ويصبح من المستحيل جمع المعلومات الضرورية عن عرق ينحدر من أصول يكتنفها الغموض ويمضي سريعاً نحو الزوال. لا أزعم أن هذه المحاولة البسيطة سوف تزيل الكثير من الغموض، لكن لا شك عندي بأنها سوف تقدم بعض العون لدراسة تكون أكثر علمية ودقة للفلكلور الأسترالي. أما أنا فلست للأسف إلا هاوية، دفعها إلى هذه المحاولة شغفها واهتمامها بالسكان السود الذين عاشت بين ظهرانيهم وخبرتهم جيداً.

عما قريب سيصبح من المستحيل جمع هذه الحكايات، خاصة أن الشيوخ من السكان الأصليين يرحلون تباعاً، في حين يعتبر الجيل الجديد مجرد تذكر حكايات القدماء هو إهانة لتمدّنه. أما أولئك الذين حاولوا بأنفسهم دراسة فلكلور مجهول فسوف

(1) ماكس ميلر (1823–1900) عالم ألسني بريطاني من أصل ألماني مختص بدراسة اللغات القديمة وخاصة باللغة السنسكريتية (م).

يقدّرون مدى الصعوبات التي على الباحث أن يجتازها قبل أن يستطيع إغراء العارفين بمشاركته بما يحتاج إليه من معلومات، على عكس أولئك الذين يتكلمون كثيراً إنما لا يعرفون سوى القليل.

لقد اقتصرت في هذا الكتاب على أساطير قبيلة «ناران»، والمعروفة بين أفرادها باسم «نون غابورا». إذ من المدهش أن تجد كل هذا التنوّع في اللغات والعادات بين شعوب تفصل بينها مسافات قصيرة نسبياً فقد تجد الكلمة نفسها في لهجة قبيلة معينة لها في قبائل أخرى معانٍ مختلفة تماماً. وهناك أيضاً الكثير من الكلمات مجهولة الأصل فيعتقد السكان السود أو الأصليون أنها مشتقة من الإنجليزية، ويعتقد الإنجليز أنها تعود للسكان الأصليين. فكلمة «البمرنغ»[1] على سبيل المثال هي نفسها عند «البيكانيني» والسود الآخرين كلمة إنجليزية الأصل لأن الكلمة المحليّة لديهم للمعنى نفسه هي «بيرن»، وفي الوقت نفسه لو سألت السكان البيض فإن تسعة من عشرة سيقولون لك إن الكلمتين من أصل محلي.

(1) «البمرنغ»: هي قطعة خشب ملوية عندما ترمى تطير على شكل دائرة وتعود باتجاه راميها كانت تستخدم عند «الأبوريجينز» أحد قبائل السكان الأصليين كسلاح صيد أو ما يطلق عليه الكيد المرتد (م).

وبالرغم من أني وضعت كتابي المتواضع هذا مدفوعة بشغفي بالفلكلور، بيد أني أتمنى أن يحظى ببعض الاهتمام من قبل الأطفال الأستراليين وأن يجدوا فيه بعض المتعة، خاصة أنهم سيجدون فيه قصصاً عن أصدقائهم القدامى من الطيور، وكلي أمل أن يجد فيه الأطفال الإنجليز فضاءً لبناء صداقات جديدة، وأن يكون هناك تبادل حر بين رياض الأطفال الأسترالية والإنجليزية فيتبادلون قصص الطيور التي بلا أجنحة والطيور الضاحكة مقابل حكايات الجدات عن الأميرات المتنكرات.

أدين بالشكر والامتنان لقبائل السود التي لولا مساعدتها لما استطعت إنجاز هذا الكتاب. فقد ساعدني كثيرون برحابة صدر وصبر حين أدركوا غايتي، وراحوا يعيدون عليّ سرد الحكايات مرات كثيرة من دون كلل أو ملل، ليس هذا فحسب بل ظلوا يكرّرون على مسمعي الأسماء إلى أن تمكنت من كتابتها بطريقة مفهومة، وأتوجه بشكر خاص لبيتر هيبي، ملك قبيلة «نون غابورا»، كما لن أنسى هيثا وماثا وبارا وغيرا وبيماني.

أهدي كتابي هذا إلى بيتر هيبي[1]، بمزيد من التقدير والعرفان بالجميل لوفائه في خدمته لي ولزوجي التي استمرت – مع فترات

(1) مستغرب أن يكون اسم ملك هذه القبيلة «بيتر»، كما يبدو مضحكاً أن يكون هذا الرجل الذي تصفه السيدة باركر بأنه «ملك» القبيلة، يعمل في مزرعتها وزوجها (م).

انقطاع قليلة- لأكثر من عشرين عاماً. ومن المرجح أن يكون بيتر هيبي آخر ملوك قبيلة «نون غابورا» التي تمضي بخطوات سريعة نحو الزوال، وقريباً جداً سوف يقايضون أسلحتهم بالتبغ والشراب، ووحدهم فقط سيكونون قادرين على إثبات حقيقة أن هذه الحكايات قد وجدت في يوم من الأيام. أشعر بكثير من الأسف لعدم وجود أي محاولة لجمع فلكلور هذه القبيلة المهددة بالانقراض، هذا الفلكلور الذي يجسّد على الأرجح الأفكار والرغبات والمعتقدات الأصلية لعرق «الأبوريجينز»[1]. ومثل هذا الفلكلور يستحق أن يجمع، ومرة ثانية أستشهد بما قاله ماكس ميلر: «ربما من الضروري، لا بل من الواجب، جمع الفلكلور في كل أنحاء العالم».

لقد روى لي هذه الأساطير السكان السود أنفسهم. ولا يزال بعضهم يتذكر قدوم «ميشيلان» - كما كانوا يسمون المايجور ميتشيل مكتشف هذه الخلجان المهجورة. ولعلّ أبناء الجيل الأكبر منهم يضحكون الآن عندما يتذكرون كم أجفلت

(1) الأبورجينز: سكان استراليا الأصليين ويقول المؤرخون إنهم تدافعوا نحو بلادهم من الأطراف قادمين من مناطق عدة حول أستراليا، من جزيرة تسمانيا في الشرق وهؤلاء يسمون « توريس»، ومن إندونيسيا في الشمال ويسمون «ماكاساتس»، هناك من وصلوا عن طريق القطب المتجمد الجنوبي ويسمون «سترايت». وتدل آثار الأبورجينز على أنهم استوطنوا القارة بمجموعاتهم المختلفة منذ زهاء خمسين ألف سنة! ولهم حضارتهم المميزة وأكثر ما اشتهروا به الرسم الرمزي الذي يروي قصص أجدادهم ومعتقداتهم عن كيفية بدء الكون(م).

أمهاتهم عندما رأين آثار العجلات على الطريق لأول مرة وكن يحظرن على أولادهن أن يدوسوا عليها، بل كن يرفعن أولادهن عنها بحذر لئلا تتحطم أقدامهم من الألم، كما يفترض أن يحدث إذا ما داسوا على أفعى. ولكن مع كل ذاك الخوف، قلة منهم أدركت أن قدوم ميتشيل كان بداية نهايتهم، أو أنه بعد خمسين عاماً سوف تجمع الأساطير، التي كانوا يحكونها في تلك الأيام لأطفالهم «البيكانني»[1] وهم يتحلقون حول موقد مخيمهم، من البقية الباقية من تلك القبيلة الكبيرة، وأن تلك الأساطير سوف تكون كتيب عيد الميلاد لأطفال مستعمريهم السكان البيض.

لا أملك أخيراً سوى الأمل بأن يستمتع الأطفال البيض بهذه الحكايات بالشغف نفسه الذي لديّ ولدى «البيكانني»، وبهذا فإن بيع هذا الكتاب سيمكنني من إضافة العباءة والتبغ إلى طقوس عشاء عيد الميلاد حين أقدمه لمن تبقوا من قبيلة «نون غابورا» مثلما اعتدت أن أفعل في كل عام.

ك. لانغلو باركر
بانغيت، نهر ناران، نيو ساوث ويلز
24 يونيو 1895

(1) البيكانني: الأطفال السود (م).

تقديم

أستراليا فتنة طبيعية للخيال بل هي كلها عالم من الخيال. عندما دخل كورتيز[1] المكسيك في أكثر لحظات التاريخ جنوحاً إلى الخيال[2]، كان الأمر كأن البشر قد اكتشفوا كوكباً جديداً شديد الغرابة، ودخلوا إلى عالم جديد مختلف عن أوروبا، ومع ذلك فقد وجدوا أيضاً في المكسيك ملوكاً ونبلاء وفلاحين وقصوراً ومعابد، ومجتمعاً رائع التنظيم، كما لم تكن الحياة الحيوانية والنباتية تختلف كثيراً عن تلك التي تركوها خلفهم في إسبانيا[3]. أما في أستراليا، وفي حين يبدو كل شيء في جديداً فإنه مغرق في القدم إلى درجة تفوق الوصف. حيث النبات فيها يختلف عن النبات الذي نعرفه،

---

(1) هيرمان كورتيز (1485– 1547) القائد والمستكشف الإسباني الذي هزم إمبراطورية الأزتك وفتح المكسيك، وهو مؤسس السلطة التشريعية ذات المجلسين في إسبانيا (م).

(2) قد يكون مفهوماً مثل هذا الكلام في الإطار الزمني، أي نهاية القرن التاسع عشر، الذي قيل فيه، وإن لم يكن مبرراً وقتذاك أو الآن وصف الحملة الدموية التي قام بها كورتيز وقضى على حضارة بأكملها بأن فيها جنوح إلى الخيال (الرومانطيقي بالأحرى هو الوصف المستعمل في الأصل) ولذلك قد تكون «المغامرة» هي الترجمة الأفضل وإن كانت لا تقلل من فداحة مثل هذه الفكرة (م).

(3) لا يقوم هذا الكلام على الملاحظة الميدانية المباشرة بقدر ما على التخمين المقصود منه زيادة الإحساس بغرابة ما اكتشفه المستعمرون في أستراليا (م).

وأشجار الصمغ الرمادية برتابتها لا تشبه غاباتنا المتنوعة، بل إنها قديمة شاحبة ومثيرة للكآبة تماماً كما هي قارتها، صحراء لا متناهية تندر فيها الهضاب والينابيع، ورغم أنها لا تخفي شيئاً في قفارها ولكنها تشي بسرٍّ ما[1]. الطيور والحيوانات فيها — الكنغر وخلد الماء[2] والأمو[3]— هي أنواع قديمة، تلك هي المفارقة المثيرة التي صنعتها الطبيعة كطفل يرسم لوحته الأولى. أما سكانها الأصليون فقد كانوا عرقاً بلا تاريخ[4]، رغم أنهم أكثر قدماً من المصريين وأقرب إلى البدائيين من أي أقوام آخرين. أسلحتهم هي الأكثر بدائية في العالم: فأسلحة سكان تاسمانيا[5] البائدة، تعود في الحقيقة إلى العصر الحجري. ولا تحتوي التربة على أي آنية فخارية، ولا تزخر جدران الكهوف برسومات تدل على وجود إنسان متحضر، ولا يخفي البحر قصوراً هدّمت، وليس هناك أي مدن مدفونة في السهول، ولا أي أثر لنقوش أو زراعة.

---

(1) تكرّر كثيراً في هذا التقديم تلك النظرة الاستعلائية الإكزوتيكية التي تحتقر لا البشر فحسب، بل الطبيعة أيضاً، وفي الوقت نفسه تعلي من شأن سرّ ميتافيزيقي ما (م).

(2) Platypus البلاتبوس، أو خلد الماء، أو منقار البطة: حيوان ثديي ذو دم حار وفقاري لكنه يبيض ولا يلد، ويرضع أطفاله، وهو أحد نوعين من الثديات فقط يضعان البيض. وهو يعيش على شواطئ البحيرات والأنهار (م).

(3) Emo طائر أسترالي ضخم يشبه النعامة (م).

(4) من وجهة نظر محض علمية هذا كلام خاطئ بكل بساطة وإن كان يمكن فهمه في سياق تلك المرحلة المبكرة التي لم يكن علم الإنثروبولوجيا قد تطور على نحو ما شهدناه لاحقاً، ولذلك يجب التعامل مع معظم الأفكار الواردة هنا بكثير من الحذر وعدم التسليم بصحتها (م).

(5) جزيرة أسترالية (م).

أما المدافن فتحتوي فقط على رفات بشر ربما كانوا أقل حضارة من القبائل الموجودة؛ ليس هناك أي دليل على وجود أناس أكثر حضارة. ربما مرت آلاف السنين على خلو الدلتا أو أراضي ضفاف دجلة والفرات من الحضور البشري كما كانت قارة أستراليا بكليتها. لعلّ طريقة حياة السكان الأصليين وشعائرهم هي الأكثر قدماً وبدائية بين كل ما عرفناه من حضارات. فليس لديهم معابد ولا صور آلهة ولا مذابح لتقديم الأضاحي، وبالكاد هناك أي شعائر تذكارية للموتى. أما طقوس عبادتهم فتقدّم في أحسن حالاتها على شكل تراتيل وترنيمات لإله غامض نصف منسيّ أو للخالق الأول، وهو إله طاعن في السن ومتداع بحكم إهمال أولاده. إنهم يعرفون الأشباح ويخشونها لكنهم بالكاد يعرّفونها أو يصفونها.

أما علومهم فاقتصرت على السحر المتجانس[1] وربما على بعض التنويم المغناطيسي. لم يعرفوا شيئاً عن الملوك والأمم، بل كانوا مرتحلين بلا بيوت ولا وطن. وكانت التقاليد هي الملك وهي تتمتع بقوة وتماسك وتفاصيل لا تقل تعقيداً عن الملكية

---

(1) Sympathetic Magic أو السحر القائم على المحاكاة، وهو الذي يقوم على فكرة أنك تستطيع التأثير على شيء ما من خلال علاقته (محاكاته أو تجانسه) مع شيء آخر، فعلى سبيل المثال كانت بعض القبائل تعتقد أن تناول الجوز يزيد من الذكاء بسبب التشابه بين شكل حبة الجوز وشكل الدماغ (م).

في إسبانيا، أو طقوس الكهنة في روما. أما التعقيدات القديمة فيما يتعلق بالمحرّمات (التابوات) وقوانين الزواج فهي لغز يحيّر عقول الرياضيين، وربما عندما يُحلّ هذا اللغز قد يقدّم تفسيراً للتابوات الأحدث والأقل تعقيداً.

ومن خلال صراع هذه الشعوب من أجل البقاء، قامت بابتداع الكثير من الآلات. فكان هناك «البمرنغ»، و«الويت ويت»[1]، ولكن ليس القوس؛ الحراب ولكن بالطبع ليس السيف؛ «قضيب المراسلة»[2] ولكن بالطبع ليس الكتابة الهيروغليفية. أما فنّهم فهو عبارة عن زخارف من الأشكال الهندسية لا تصويراً. لقد اعتبروا أنفسهم أنسباء لكل عناصر الطبيعة وأطلقوا على أنفسم أولاد عم المطر والدخان، والغيم والسماء، كما الحيوانات والأشجار. برعوا في الصيد والتقصّي، وكانوا رياضيين بالفطرة. ولذلك هم الآن يتقنون الفروسية، وبالنسبة إلى قوم همجيين فإنهم يلعبون الكريكيت بشكل جيد[3]. ولأنهم احُتُلّوا من قبل مهاجرين عمليين فلم تتم دراستهم مبكراً بل بدأ الاهتمام بدراستهم متأخراً جداً. لدينا مثلاً أعمال سير جورج غريه، وكتيب مختصر

(1) نوع من الحراب. سلاح يشبه القوس (م).

(2) Message Stick: طريقة تواصل استعملها السكان الأصليون، وهي كناية عن قطعة خشبية يتراوح طولها بين 20 و30 سنتمتراً تحفر عليها الخطوط والنقاط البارزة والتي تشكل المراد قوله (م).

(3) المزيد من الملاحظات التي تجمع بين السخرية والاستخفاف والجهل التام (م).

لأخي جدعون لانغ وكتاب أكثر توسعاً للسيدين فيجن وهويت، ومجموعة السيد براف سميث.

لقد أصبحت ألغاز (بورا[1]) السكان الأصليين، وهي من الطقوس البدائية التي فيها قليل من السحر وكثير من العادات الاجتماعية، معروفة لنا.

وكنا نعرف شذرات من الأساطير ولكن إلى أن وضعت السيدة ك (كاتي) لانغلو باركر كتابها هذا لم يكن لدينا سوى القليل من القصص التي كان يرويها السكان الأصليون حول مواقد مخيماتهم، أو تحت ظلال أشجار الصمغ.

هذه الحكايات في معظمها هي قصص خيالية للأطفال، رغم أنها تحتوي على العديد من الخرافات السببية[2] التي تشرح أسباب وجود علامات فارقة وعادات معينة عند الطيور، وأصول الكوكبات (مجموعات النجوم) وما إلى ذلك. هي نسخة بدائية من التحولات[3]، وقليل من الدارسين الموضوعيين

---

(1) البورا: تجمع كبير للرجال يتم فيه تلقين الشبان أسرار الرجال (م).

(2) aetiological: علم أسباب الظواهر وهو مصطلح شاع في الطب والفلسفة خصوصاً (م).

(3) METAMORPHOSE: الأثر الأهم للشاعر الروماني أوفيد، يسهل أن يرى المرء مدى التباعد بين كتاب أوفيد وهذا التراث الحكائي لكن كعادة بعض الدارسين في تلك المرحلة المبكرة كان يجري بسهولة خلط أشياء كثيرة بعضها ببعض(م).

وغير المتحيّزين اليوم يشككون في أن التحولات في الأصل ليس إلا نسخة حديثة ومصطنعة عن الحكايات التقليدية البدائية تماماً مثل حكايات قبيلة «نون غابورا» هذه.

لقد قرأت كتاب السيدة باركر بكثير من الاهتمام، ومن المتعة الطبيعية التي نشعر بها عند قراءة الحكايات. وأعتقد أن الأطفال سوف يجدون فيه «كتاب الأدغال» ولكن الذي يخص الصبيان والبنات السود. إن معرفة حياة الحيوانات والطيور والتعاطف معها لا شك أنها تستحق اهتمام السيد كيبلنغ[1] أما الأسماء المضحكة والغريبة فهذا تماماً ما يحبه الأطفال. لذلك فإن «دينوان» و«غامبل غابون» يجب أن تأخذ مكانها بين «ريكي تيكي» وغيرها من شخصيات السيد كيبلنغ المبهجة. لكن في هذا الكتاب ليس هناك أي «ماوغلي» يترك وحيداً في الغابة لينشأ كإنسان وحيد بين مخلوقات الغابة. فالحكايات الأسترالية تمزج بين الإنسان والطيور والحيوانات مثلها مثل حكايات صيادي قبائل جنوب أفريقية والهنود الحمر. وكلها من الأصل نفسه، ومرتبطة ببعضها بعض وتطرح المواضيع نفسها، وجميع شخصياتها يمتثلون لقانون الغابة تماماً كما تمتثل شخصيات كيبلنغ لقوانين الغابة في قصصه

(1) روديارد كيبلنغ (1865- 1936): كاتب بريطاني ولد في الهند، حاز على جائزة نوبل في 1907، وكتاب الأدغال أحد كتبه من قصص الأطفال(م).

الساحرة. هذا الالتباس بالطبع ليس حكراً على الأساطير الأسترالية، ولكنه السمة الغالبة على حكاياتنا بشكل عام. الا أن الأستراليين يقصّونها بشكل أكثر طبيعية كما أن شخوص حكاياتهم مستمدّة من الطبيعة. وهذه الحكايات ليست تراث التقليدين والموتى بل هي أزهار الأحياء وتجسيد حي للعقل.

تفتقر هذه الحكايات للأدوار المسرحية التمثيلية التي تتصف بها قصصنا اليوم، ذلك أنه حين لا يكون هناك تمييز طبقي حسب الثروة والمكانة الاجتماعية لن يكون هناك «سندريلا» ولا «الهرّ المعلم». العديد من هذه القصص فيها فجاجة أساطير الأسباب، التي تشرح عادات الطيور والحيوانات ومميزاتها، وهي تقدم مبررات بطريقة مألوفة عن أصل الموت كما في قصة «باهلو القمر والدينز»، وتحكي أيضاً وبطريقة شبه علمية كيف اكتشف الإنسان النار، وكيف سرقت من مكتشفيها الأصليين، إذ لم يكن ليصدّق البدائيون أن مكتشف النار سوف يفشي سره للآخرين. والطريقة نفسها في التفكير اعتمدها مبتدعو أسطورة بروميثيوس[1].

بشكل عام، ربما تشبه هذه الحكايات قصص الزولو[2] رغم أن الأخيرة فيها درجة أكبر من التحضّر، ذلك أن اليوم الصراع

(1) أحد الجبابرة في الميثولوجيا الإغريقية، قام بسرقة النار وتقديمها للبشر (م).
(2) الزّولو: هم شعب ناطق بلغة البانتو في ناتال بجنوب أفريقيا. الزّولويّة هي لغة الزّولو (م).

من أجل الطعام والماء يكاد يستنفد الناس، وهو الصراع الأبدي، ولا عجب في ذلك لأن القاصّين أو الحكاة عاشوا في أرض جافة وقاحلة، وكانت لا تزال بلا مطر ولا ثلج ولا وجود فيها للحيوانات الداجنة. لهذا نرى المكر والحيلة عند البدائيين كمهارات رئيسية في الصيد وخاصة في مطاردة النحل من أجل الحصول على العسل. وهناك أيضاً طقوس «سحر المطر» الذي يمارس حقاً. باختصار ما نقرأه هنا هو صور عن حياة البدائيين مروية بلسان البدائيين أنفسهم، وهي قصص واقعية فعلاً. ونحن ندرك تلك الحالة التعيسة التي يتحدث عنها الدكتور جونسن[1] وهي الحالة التي انحدرنا منها كبشر والتي من المرجّح أننا سوف نعود إليها؛ «المساواة»، «الليبرالية» «والمشاعية» كل ذلك يعني بأن البدائية والبدائيين وإن كانوا متساوين فإنهم ليسوا أحراراً بل إنهم عبيد للتقاليد.

---

(1) الدكتور جونسن: صموئيل جونسن (1709– 1784) عالم لغوي بريطاني وهو أديب وناقد ومؤلف (م).

أندرو لانغ[1]

(1) أندرو لانغ (1844 - 1912): كاتب وشاعر وروائي اسكتلندي كانت له مساهمات في الأنثروبولوجيا (م).

دينوان طائر الأمو وغومبل غابون الحبارى

كان دينوان الأمو الأكبر بين الطيور فجعلته ملكاً عليها، مما أثار ضده غيرة طيور الغومبل غابون، حبارى السهل[1]. فصارت غومبل غابون الأم تتميز غيظاً كلما شاهدت دينوان الأم تحلّق عالياً وتركض برشاقة. ولطالما لمحتها وهي تتباهى بتفوقها أمامها، إذ كلما حطت قربها بعد تحليق عال وطويل، تنفش ريشها وتخطر مزهوة بنفسها وهي تغني ليس بصوت عال كصوت الذكر، بل بصوت مفعم بالشعور بالنصر والزهو، وكان هذا الصوت يتسبّب في كل مرة في إزعاج غومبل غابون.

فراحت تفكر في طريقة تضع فيها حدّاً لتفاخر دينوان وخلصت إلى أن الطريقة الوحيدة لذلك هي في تدمير جناحي عدوتها وحرمانها من القدرة على الطيران. ولكن كيف ستفعل ذلك؟ شغلها هذا السؤال طويلاً فهي تعرف تماماً أن العراك ليس في مصلحتها فمن المستحيل أن تنتصر على دينوان وهي الأقوى ولهذا فليس من سبيل لها سوى اللجوء إلى الحيلة.

(1) طائر أسترالي يشبه الديك الرومي ويعيش في السهل (م).

وذات يوم وحين رأت دينوان مقبلة من بعيد، بركت أرضاً وطوت جناحيها وأخفتهما جيداً لكي تبدو بلا جناحين، وبعد أن تبادلتا الحديث لبعض الوقت، سألتها غومبل غابون: «لمَ لا تقلدينني وتتخلين عن جناحيك؟ كل الطيور تطير ولكن ما سيميّز دينوان كملك الطيور هو التخلي عن الجناحين. انظري إليّ عندما ستراني باقي الطيور وأنا بلا أجنحة سيعتقدون أني الأكثر ذكاءً وسوف يختارونني ملكة».

قالت دينوان: «ولكن لك جناحان».

«لا، على الإطلاق».

وبالفعل بدت بلا جناحين فقد أخفتهما جيداً بين العشب. مضت دينوان في طريقها وهي لا تزال مشغولة الفكر بكلام جارتها، ثم أخبرت زوجها بالأمر فأزعجه كثيراً. وهكذا عقدا العزم على ألا يسمحا لغومبل غابون بالاستيلاء على عرش عائلتهم، فلقب الملك من حقهم وسيدافعون عنه حتى لو كلفهم ذلك التخلي عن أجنحتهم.

وأخيراً قررت عائلة دينوان التخلي عن أجنحتها، واختارت الأم أن تكون القدوة فأقنعت زوجها بقص جناحيها بحجر

التومهوك[1] وبعدها سارعت لتزف الخبر إلى غومبل غابون. ركضت برشاقة إلى السهل لتجدها ما زالت على العشب كما تركتها فبادرتها قائلة: «انظري لقد حذوت حذوك، فأنا بلا جناحين الآن».

قهقهت غومبل غابون منتشية: «ها! ها! ها!»، ثم قفزت وبدأت ترقص فرحة بنجاح خطتها، ثم رفرفت بجناحيها وقالت: «لقد خدعتك، يا صاحبة الجناحين المبتورين، ما زلت أملك جناحين. إنكم طيور ساذجة يسهل خداعها ولا تصلحون لأن تكونوا ملوك الطيور. ها! ها! ها!». هكذا ضحكت غومبل غابون هازئة ثم رفرفت بجناحيها في وجه دينوان التي انقضّت عليها لتعاقبها على خديعتها، بيد أن غابون طارت بعيداً ويا للحسرة! فمن أين لدينوان أن تلحق بها بعد أن فقدت جناحيها.

شعرت دينوان بالخجل من خطئها، ومشت وهي تقسم بالثأر لنفسها. ولكن كيف؟ شغلها هذا السؤال هي وزوجها طويلاً قبل أن يجدا جواباً. وبعد وقت خطرت على بال دينوان الأم خطة سارعت إلى تنفيذها. وهكذا أخفت الأم جميع صغارها - باستثناء اثنين - تحت غصن كبير في الأجمة، ثم مضت إلى السهل، فرأت غومبل غابون تطعم فراخها الاثني عشر.

(1) التومهوك: فأس الحرب، سلاح السكان الأصليين والهنود الحمر (م).

وبعد حديث ودي مع غومبل غابون، قالت دينوان: «لماذا لا تفعلين مثلي وتكتفين بولدين فقط؟ اثنا عشر ولداً هو عدد كبير وستجدين صعوبة في إطعامهم كما أنهم لن يصبحوا طيوراً كبيرة مثل طيور دينوان فطعام اثني عشر صغيراً لا يسد رمقهم ولكنه يكفي لتسمين اثنين منهم».

لم تجب غومبل غابون بحرف ولكنها فكرت في سرّها أن هذا قد يكون صحيحاً، فمن المستحيل أن تتجاهل بأن صغار دينوان هم أكبر بكثير من صغارها. ومضت وهي تشعر بالاستياء وتتساءل ما إذا كانت كثرة العدد هي السبب في أن صغارها أصغر حجماً من صغار دينوان. لكنها تذكرت خدعتها لها وفكرت أنه ربما الأخرى تحاول أن تردّ لها الصاع صاعين. نظرت إلى دينوان وهي تطعم صغيريها ورأت كم أن حجم الصغيرين أكبر بكثير من حجم أي من صغارها، ومرة أخرى استولى عليها الشعور بالغيرة والحسد، فقررت أنها لن تستسلم حتى لو اضطرت إلى قتل صغارها. وقالت لنفسها: «الغومبل غابون سوف يستولون على العرش، سوف يكبرون مثل الدينوان ويحتفظون بأجنحتهم ويطيرون في حين أصبح الدينوان عاجزين عن الطيران». ولم تتردد غومبل غابون لحظة، بل سارعت إلى قتل صغارها باستثناء

اثنين، وجاءت إلى حيث دينوان ما زالت تطعم صغيريها. عندما رأتها هذه مقبلة ومعها اثنان من صغارها فحسب نادتها قائلة: «أين باقي صغارك؟».

أجابت غومبل غابون: «لقد قتلتهم، وأنا الآن لي اثنان فقط. وسوف يجدان الكثير من الطعام وسوف يكبران ليصبحا بحجم صغيريك».

«يا لك من أم قاسية تقتل صغارها بكل بساطة، بسبب جشعها. لماذا فعلت ذلك؟ انظري إلي أنا لدي اثنا عشر ولداً وهناك الكثير من الطعام يكفي الجميع. ولن أقتل أياً منهم حتى لو كنت بذلك سأستعيد جناحيّ. هناك ما يكفي الجميع. انظري إلى أشجار الأمو وقد اكتست بالتوت لتطعم عائلتي الكبيرة. وانظري إلى الجنادب كيف جاءت تقفز حولنا، لنصيدها ونسمّن أنفسنا».

«لكنك لك ولدان فقط».

«أنا لي اثنا عشر ولداً، سوف أذهب لإحضارهم».

ركضت دينوان إلى الأجمة حيث أخفت صغارها، وسرعان ما عادت بهم راكضة وعنقها ممدودة إلى الأمام ورأسها مرفوع

بزهو وافتخار وذيلها يتأرجح، في حين تغني بأعلى صوت يمكن لحنجرتها الغريبة أن تحدثه، وصغارها بجلودهم المخططة كحمار الوحش، يركضون بجانبها مدندنين لحن أطفال دينوان. وعندما وصلت إلى موضع غومبل غابون، توقفت عن الغناء وقالت بلهجة وقورة: «كما ترين لم أكذب عليك، لي اثنا عشر ولداً كما قلت لك. الآن يمكنك أن تنظري إلى صغاري وتتذكري صغارك المغدورين. وبينما أنت تفعلين ذلك سأخبرك بمصير سلالتك إلى الأبد. لقد حرمت الدينوان من أجنحتها بسبب مكرك وخديعتك ومن الآن فصاعداً، طالما أن الدينوان بلا أجنحة، فسوف تبيض غومبل غابون بيضتين فحسب في كل موسم، وسيكون لها صغيران لا أكثر. لقد بتنا متعادلتين الآن، أنت لديك جناحاك وأنا لدي صغاري».

ومنذ ذلك الحين، فإن دينوان أو طيور الأمو تعيش بلا أجنحة، ولا تضع غومبل غابون أو حبارى السهل أكثر من بيضتين في موسم التكاثر.

غالا[1] الببغاء وأولاه الضب[2]

شعر أولاه الضبّ بالتعب من الاستلقاء في الشمس دونما عمل يقوم به، فقال لنفسه: «سوف أذهب وألعب»، فأخرج البمرنغ خاصته وبدأ يتدرب على رميها. وبينما هو كذلك جاء غالا ووقف بالقرب منه وأخذ يشاهد البمرنغ تطير مرتدة إلى راميها، فقد كانت من نوع بابيرا وهي أصغر من الأنواع الأخرى، وأكثر تقوساً وهي على خلاف الأنواع الأخرى عندما تُرمى تطير ثم ترتد إلى راميها.

شعر أولاه بالفخر لأن غالا المغرور يشاهد مهارته. ومدفوعاً بشعوره بالفخر شدّ البابيرا حتى صارت أكثر تقوساً ثم رماها بكل ما أوتي من قوة، فانطلقت تئزّ في الهواء ثم ارتدّت لتصدم رأس غالا مقتلعة ريشه وجلده. نهض غالا وبدأ ينعب ويصرخ ويزعق من الألم بصوت قبيح، وأخذ يطير في الأنحاء متوقفاً كل بضع دقائق ليضرب رأسه بالأرض كالمجنون.

---

(1) GALAH أحد أنواع ببغاء الككتوه الذي يكثر وجوده في أستراليا (م).
(2) أو السحلية أو العظاءة (م).

فزع أولاه عندما أدرك فداحة فعلته وحين رأى الدم يسيل من رأس غالا، فانسلّ هارباً واختبأ تحت غصن شجرة زعرور. لكن رآه غالا وتبعه وهو لا يزال يصرخ وينعب. وعندما وصل إلى شجرة الزعرور انقضّ على أولاه وأخذ يضربه بمنقاره ويدحرجه على الغصن حتى ترك الشوك ندوباً في جلده.

ثم مسح جلده بالدم النازف من رأسه وقال: «من الآن فصاعداً أنت يا أولاه سوف تحمل آثار الشوك وبقع دمي على جلدك إلى الأبد».

قال أولاه، وهو يهسهس من ألم وخز الشوك: «وأنت سوف تكون طيراً أصلع الرأس ما دمتُ ضبّاً أحمر ذا أشواك».

وإلى يومنا هذا ما زال لغالا تحت عُرفه بقعة جرداء هي تلك التي سببتها بابيرا أولاه أول مرة. وفي قرية غالا نجد أبناء جنسه ملونين بالبني المائل إلى الحمرة وقد نمت لهم شعيرات تشبه أشواك الزعرور.

باهلو القمر والدينز السكان السود

ذات ليلة نظر القمر باهلو إلى الأرض في الأسفل، ليرى إذا كانت هناك أي حركة، فحين يخلد أهل الأرض للنوم يكون الوقت الذي يختاره باهلو ليلعب مع كلابه الثلاثة. هو يدعوها كلاباً في حين يعرفها أهل الأرض بالأفاعي، وهي أفعى الموت والأفعى السوداء والأفعى النمر. وبينما ينظر باهلو إلى الأرض وكلابه الثلاثة إلى جانبه، رأى ثلة من الدينز، أو الناس السود، يعبرون الجدول فصاح بهم: «مهلاً، أريدكم أن تحملوا كلابي الثلاثة إلى الجانب الآخر من الجدول».

ولكن الدينز وعلى الرغم من حبهم الشديد لباهلو، كانوا يمقتون كلابه. لأنه وفي بعض الأوقات التي كان يجلب فيها كلابه لتلعب على الأرض كانت تعض ليس كلاب الأرض فحسب، بل وأصحابها أيضاً، كما كان السُّم الذي تخلفه العضة يقتل. لذلك أجابت جماعة السود: «لا، يا باهلو، نحن خائفون، لأن كلابك قد تعضنا، إنها ليست ككلابنا، فعضة كلابنا ليست مميتة».

قال باهلو: «إذا فعلتم ما أطلبه منكم فعندما تموتون سوف تبعثون مجدداً، انظروا إلى قطعة اللحاء هذه التي سأرميها في الماء».

ورمى قطعة من لحاء الشجر في الجدول، ثم أضاف: «أرأيتم كيف تغرق وتعود لتطفو على السطح؟ هذا ما سيحدث لكم إن نفذتم ما أطلبه منكم: في البداية ستموتون ثم ستعودون إلى الحياة فوراً. وإن لم تحملوا كلابي لتعبر الجدول، فستكونون حمقى لأن مصيركم سيكون كهذا»، ورمى حجراً في الجدول، فغاص في القعر ولم يصعد إلى سطح الماء ثانية، وقال: «سوف تختفون كهذا الحجر ولن تعودوا للحياة ثانية أيها الدينز المجانين».

ولكن السود أجابوا: «لا يمكننا فعل ذلك يا باهلو، فنحن نخشى كلابك كثيراً».

«سوف أنزل بنفسي وأحملها لأثبت لكم بأنها آمنة تماماً وغير مؤذية».

ثم نزل والأفعى السوداء تلتف على إحدى ذراعيه والأفعى النمر على الأخرى وأفعى الموت تتدلى من كتفه وتلتف حول عنقه. حمل الكلاب وعبر بها إلى الضفة الأخرى ثم حمل حجراً

كبيراً ورماه في الماء قائلاً: «الآن أيها السود الجبناء، لم تفعلوا ما طلبته أنا باهلو منكم، وبهذا فقد أضعتم إلى الأبد فرصة العودة إلى الحياة. سوف تبقون حيث تموتون، تماماً كهذا الحجر تحت الماء، ثم ستصبحون جزءاً من الأرض، ولو أنكم نفذتم ما طلبته منكم فلكان بإمكانكم أن تموتوا كما أموت ثم تعودون إلى الحياة بعد حين مثلي تماماً. ولكن منذ اليوم سوف تكونون في حياتكم مجرد بشر سود، وستصيرون رميماً بعد موتكم».

بدا باهلو مستاءً جداً، كما كانت أفاعيه الثلاث بفحيحها المفترس تخيف الأناس السود الذين فرحوا حين رأوها تتوارى عن أنظارهم بين الأشجار.

فيما مضى كان السود يخافون من كلاب باهلو فحسب، أما الآن فصاروا يكرهونها. وقالوا: «إذا استطعنا أن نبعد الأفاعي عن باهلو فستتمكن من قتلها».

ومنذ ذلك اليوم، كلما رأوا أفعى وحدها قتلوها، لكن ظلّ باهلو يرسل إليهم المزيد منها لأنه قال: «ما دام هناك أناس سود فسوف تبقى الأفاعي لتذكرهم بأنهم أبوا القيام بما طلبته منهم».

أصل بحيرة ناران

قال بيامي الكهل لزوجتيه الشابتين بيراغنولو وكانبيلي: «لقد ألصقت ريشة بيضاء بين الرجلين الخلفيتين لإحدى النحلات، وسوف أتركها تذهب وأتبعها خلسةً إلى عشها وبهذا ربما أستطيع الحصول على العسل. وبينما أذهب لإحضار العسل اذهبا أنتما لإحضار الضفادع واليام[1] ثم نلتقي عند نبع كوريغل وسوف نخيّم هناك حيث المياه حلوة وصافية.

أخذت الزوجتان عصي اقتلاع اليام وحقائب حفظ الطعام وخرجتا كما أمرهما. بعد مشوار طويل والتقاط عدة ثمرات من اليام وبعض الضفادع، وصلتا إلى كوريغل متعبتين وقد أغراهما الماء النقي البارد وشعرتا برغبة جامحة في الاستحمام في النبع، لكن كان عليهما أولاً نصب مظلة من الغصون لتستظلا تحتها وهناك تركتا الحقائب التي تحمل طعامهما، والضفادع واليام التي وجدتاها. وعندما أصبح المخيم جاهزاً لاستقبال بيامي

(1) اليام: ضرب من البطاطا (م).

الذي يتسلح بالتودد والملاطفة ليحتفظ بزوجيته وفي الوقت نفسه ليجعلهما تطيعان أوامره، ذهبت الفتاتان إلى الينبوع لتستحمّا.

خلعت الفتاتان ثوبيهما المطرزين بالريش، فقد كانتا لا تزالان بسن تسمح لهما بارتداء مثل هذه الأثواب، وتركتاهما على الأرض إلى جانب الينبوع وبفرح غطستا في الماء. لكن لم تكد برودة الماء تريح جسديهما المتعبين حتى رآهما اثنان من الكيرا (التماسيح) وابتلعاهما. ثم غطس التمساحان إلى فتحة في طرف الينبوع، وهي عبارة عن قناة باطنية تؤدي إلى نهر ناران. وهكذا مرا عبر هذه القناة وأخذا معهما كل ماء الينبوع إلى مجرى نهر ناران الذي بدأ يجف أيضاً في طريقهما.

بينما كان بيامي الذي لم يكن يقصد أن يرسل زوجتيه إلى حتفهما، مشغولاً بجلب العسل، تبع النحلة التي وضع عليها الريشة البيضاء إلى مسافة بعيدة، وبعدها طارت النحلة إلى زهرة في أجمة الورد، وبقيت هناك دون حراك.

قال بيامي لنفسه: «هناك خطب ما، وإلا لكانت النحلة تابعت تقدمها باتجاه خليتها، ولما بقيت هنا. يجب أن أذهب إلى ينبوع كوريغل وأطمئن على زوجتيّ. لابدّ من أن مصيبة وقعت».

وهكذا ركض بأقصى سرعة إلى ينبوع كوريغل، وحالما وصل إلى هناك رأى المظلة التي صنعتها زوجتاه، وتحتها حبات اليام التي اقتلعتاها من الأرض، ورأى الضفادع أيضاً، لكنه لم يرَ زوجتيه. فبدأ يناديهما بصوت عالٍ، ولكن ما من مجيب.

اقترب من الينبوع، فوجد ثوبي زوجتيه. ثم نظر إلى الينبوع فوجده جافاً، فقال لنفسه: «هذه أعمال كيرا (التماسيح) لقد فتحت القناة وتركت الينبوع يجف. حسناً، يجب أن أجد نقطة التقاء القناة بنهر ناران ومن هناك أستطيع أن أتبعها بسهولة».

حمل حرابه وفأسه وبدأ بملاحقة التمساحين، وسرعان ما وصل إلى حفرة عميقة جداً حيث تلتقي القناة الباطنية مع نهر ناران، وهناك رأى ما لم يره في حياته، رأى حفرة كبيرة عميقة وجافة. ثم أردف: «لقد فرغت الحفر من الماء كلما مرت بها التماسيح، ولكني أعرف حفر هذا النهر جيداً، ولهذا فسوف لن أتبع طريق المنحنيات الطويل بل سوف أختصر المسافة وأعبر من حفرة إلى أخرى وقد أستطيع أن أسبق التماسيح».

وهكذا أسرع بيامي متنقلاً من حفرة إلى أخرى، تاركاً وراءه سلسلة من الحصى امتدت على طول نهر ناران تحدد أماكن الحفر العميقة. وكلما وصل إلى حفرة وجدها جافة،

حتى وصل إلى الحفرة التي في نهاية النهر وكانت لا تزال رطبة موحلة، فعرف حينئذ أنه صار قريباً من عدوّيه، ولم تكن إلا لحظات حتى رأى التمساحين، فسبقهما مسافة قليلة واختبأ خلف شجرة دهيل[1] المقدسة. وعندما اقترب تمساحا كيرا منه افترقا واستدار أحدها ليغير اتجاهه، لكن يامي أسرع في رميهما بحرابه جارحاً كلا التمساحين اللذين أخذا يتلويان من الألم ويهزّان ذيليهما بغضب، صانعين فجوات ضخمة في الأرض سرعان ما امتلأت بالماء الذي حملاه معهما. ولكي يمنعهما من الهرب مجدداً، بدأ يامي يرميهما بالحراب حتى أخرجهما من الماء ثم اقترب منهما وقتلهما بالفأس.

ومنذ ذلك الحين وفي موسم الفيضان، يفيض نهر ناران ليملأ الفجوات التي صنعها التمساحان أثناء تلويهما من الألم.

عندما تيقن يامي من موت التمساحين، شق جسديهما وأخرج زوجتيه اللتين كانتا جثتين هامدتين رطبتين غطاهما الطين. حمل الجسدين ووضعهما فوق بيت نمل أحمر، ثم جلس ينتظر.

أخذ النمل ينظف الجسدين من الطين بسرعة، وبعد فترة قصيرة رأى يامي عضلات الجسدين تنتفض بفعل وخز النمل.

---

(1) الدهيل: شجرة مقدسة عند قبائل السود. يضعون أغصانها على القبور وهي تشبه الغار (م).

قال بيامي: «آه، ها هي الحياة تعود إليهما، إنهما تشعران بوخز النمل».

ولم يكد ينهي كلامه، حتى سمع دوياً يشبه قصف الرعد، وبدا له أن الصوت صدر من أذني الفتاتين، وحالما اختفى الصدى نهضت الفتاتان ووقفتا متباعدتين وقد ارتسمت الدهشة على وجهيهما وللحظة لم تدركا ما الذي يحدث. ثم تمالكتا نفسيهما وتشبثت واحدتهما بالأخرى، وأخذتا ترتجفان بخوف من يواجه خطر الموت.

اقترب بيامي من زوجتيه وشرح لهما كيف أنقذهما من بطن تمساحي كيرا، وأوصاهما أن تحترسا كثيراً قبل الاستحمام في حفر ناران لئلا تكونا صيداً سهلاً لكيرا التي تسكن في تلك الحفر.

ثم طلب منهما أن تنظرا إلى مياه بوغيرا وقال لهما: «قريباً سيجد الإوز الأسود والبجع والبط الطريق إلى هنا، إذ ستمتلئ الأرض الجافة المغطاة بالحجارة بالمياه وستقصدها الكثير من طيور الماء، ومن اليوم فصاعداً عندما يفيض نهر ناران سوف يملأ هذه الحفرة، مشكلاً بحيرة كبيرة».

وما تنبأ به يامي في الماضي أصبح اليوم حقيقة، فبحيرة ناران التي هي صفحة كبيرة من الماء تمتدّ لأميال هي اليوم موطن آلاف طيور الماء البرية.

غولو العقعق[1] وواروغا الأطفال

كانت غولو طاعنة في السن، ولكنها كانت أيضاً شريرة كما سنرى في هذه القصة. في الماضي وفي مواسم الحصاد حين يغصّ العشب بالبذور، كانت غولو تجمع البذور وتطحنها فتصنع منها الطعام كلما جاعت. واعتادت أن تطحن البذور مستخدمة حجراً مسطحاً كبيراً كقاعدة وفوقه حجارة مسطحة صغيرة وكانت تسمى ديرول وهي تشبه الرحى. طحنت غولو كمية كبيرة من البذور وخزنتها لوقت الحاجة.

وما إن انتهت من ذلك، حتى أتت قبيلة مجاورة وخيمت على مقربة منها. وذات يوم خرج جميع رجال القبيلة إلى الصيد، تاركين خلفهم النسوة والأطفال في المخيم. وبعد أن ابتعد الرجال، جاءت غولو إلى مخيمهم لتتحدث مع النسوة. سألتهن: «لماذا لا تذهبن أنتن أيضاً للصيد؟ فهناك الكثير من خلايا النحل في الجوار، وهي مليئة بالعسل. وهناك الكثير من ثمار الرمان

(1) العقعق: غراب مبقع الذيل (م).

البري الناضجة تتدلى من الأغصان المنخفضة، وثمار البرقوق حمراء وناضجة، كما أنه بداية موسم نضوج ثمار الحمبلاس[1]، كل ذلك حولكن وأنتن جالسات هنا في المخيم مع أطفالكن تتضورن جوعاً بانتظار أزواجكن ليعودوا بطيور الأمو والكنغر التي ذهبوا لاصطيادها. اذهبن أيتها النسوة واجمعن الكثير مما يحيط بكم من ثمار، ولا تقلقن فأنا سوف أعتني بالواروغا[2] الصغار».

أجابت النسوة: «تقولين كلاماً حكيماً، من الحماقة أن نجلس هنا نتضور جوعاً حين يكون في متناول اليد الكثير من اليام وغيرها من الثمار التي تنتظر من يقطفها؟ سوف نذهب ونملأ أكياس الكومبي[3]، ولكننا سوف نأخذ أطفالنا معنا».

قالت غولو: «لا تكن حمقاوات، فسوف تتعبن أقدام الأطفال الصغار، كما سوف تتعبن أكتافكن من حمل من لا يستطيع المشي منهم. لا، بدل ذلك احملن الحقائب وبهذا تستطعن جلب المزيد من الثمار، وما أكثر الثمار التي تنتظر من يجمعها. انظرن أيتها الأمهات، لقد انتهيت للتو من تحضير

(1) نبتة استرالية متسلقة ذات زهرة فواحة وثمار ذات شكل بيضاوي مليئة بالعصارة (م).
(2) أطفالكن الصغار (م).
(3) الكومبي: أكياس أو حقائب مصنوعة من جلد الكنغر (م).

الطحين ولدي خبز طازج هناك بين الموقدين، وهناك سوف أطعم أطفالكن وبسرعة سوف أحضر لهم وجبة أخرى فيأكلوا ويشبعوا حتى قبل أن تغبن عن أنظارهم. انظرن ها هم قادمون إليّ، إنهم جائعون ومتشوقون لتناول الخبز، وسوف أطعمهم. وأنتن أسرعن، فربما تعدن في الوقت المناسب لإيقاد النار لطهي اللحم الذي سيحضره أزواجكن الذين سيسعدون حين يجدون أنكن ملأتن الحقائب بالثمار والأطباق بالعسل. هيا أسرعن وأتمنى لكنّ التوفيق».

هكذا سمعت النسوة كلام غولو وقررن أن يفعلن ما نصحتهن به، فتركن الأطفال معها وحملن الحقائب وأدوات من حجر الكومبو[1] لشق خلايا النحل وقتل الأبوسوم[2]، والعصي لاقتلاع اليام.

وبعد أن ذهبت النسوة، جمعت غولو الأطفال حولها وبدأت تطعمهم خبزاً ساخناً مباشرة من الموقد، كما أطعمتهم العسل أيضاً وثمار الرمان البري التي كانت قد دفنتها لتنضج. وعندما أنهوا طعامهم، أسرعت بهم إلى بيتها الحقيقي، في جوف شجرة

(1) الكومبو: هو الاسم الذي يطلقه السكان الأصليون على حجر التمهوك أو فأس التمهوك (م).
(2) حيوان أمريكي من ذوات الجراب يتظاهر بالموت عندما يحدق به الخطر (م).

على مسافة بعيدة من المكان الذي كانت تخبز فيه. وصلت إلى بيتها وحشرتهم داخل البيت ثم دخلت خلفهم وحرصت على أن الجميع بخير. وفي البيت أطعمتهم ثانية، ولكن بعد أن شبع الأطفال تنبهوا لغياب أمهاتهم وبدأوا بالبكاء.

وصل صوت بكاء الصغار إلى آذان النسوة اللواتي كنّ في طريق العودة إلى المخيم، فاستبدّ بهنّ القلق وأسرعن باتجاه مصدر الصوت. وبينما يهرعن للقاء أطفالهن فكرن بأن حقائبهن المحمّلة بأطايب الثمار سوف تهدّئ روع أطفالهن، وشعرن بالسعادة لتخيل فكرة إطعامهم مما جمعته أيديهن من ثمار. وسرعان ما وصلن إلى المخيم ولكن يا للهول! أين ذهب الأطفال؟ وأين ذهبت غولو العقعق؟

قالت النسوة: «لابد من أنهم يلعبون الغميضة، وقد اختبأوا في مكان ما».

بحثت الأمهات في الجوار ونادين عالياً بأسماء أولادهن وغولو. ولكن لم يجبهن أي صوت ولم يجدن أي أثر. وبين الحين والآخر كنّ يسمعن عويل الأطفال ويتبعن مصدر الصوت لكن من دون جدوى.

وبعد محاولات فاشلة بدأت الأمهات بالعويل والنواح ثم رجعن إلى المخيم مثقلات بالحزن والهم على ضياع أطفالهن وجلسن ينتظرن عودة أزواجهن.

عندما رجع الرجال كان الحزن بادياً على وجوه النسوة وسارعن بإخبارهم كيف أقنعتهن غولو بالذهاب لجمع الثمار ووعدتهن بالاعتناء بالأطفال وإطعامهم في غيابهن، ولكن عندما عدن –وهنا عاودن العويل والبكاء– ثم تابعن إخبار الأزواج كيف أنهن وثقن بها وذهبن، لقد قالت لهن الحقيقة فقد وجدن الكثير من الثمار في الجوار وملأن حقائبهن بما جمعنه من ثمار، ولكن يا للحسرة عدن محملات بالثمار إنما لم يجدن الأطفال ولا غولو لقد اختفوا جميعهم، هذا رغم أنهن سمعن أصواتاً تشبه بكاء الأطفال.

غضب الرجال كثيراً وقالوا: «أي نوع من الأمهات أنتن لكي تتركن أطفالكن الصغار مع غريبة مثل غولو، وهي من عرق معروف بالغدر؟ ألم نذهب نحن لإحضار الطعام لكن ولأطفالنا؟ هل حدث يوماً أن عدنا من الصيد بأيد فارغة؟ ما دمتن تعرفن أننا ذهبنا للصيد، فلماذا تركتن أطفالنا بين يدي الغريبة وهم عاجزون عن حماية أنفسهم؟ يا لهذا الزمن المنحط

الذي تنسى فيه الأمهات أطفالهن. والآن انتظرن هنا في المخيم وسوف نذهب للبحث عن الأطفال. ولسوف نضربكن ضرباً مبرحاً إذا عدنا من دون أن نجدهم».

بحث الرجال في الأجمة المجاورة على امتداد أميال من المخيم إلا أنهم لم يجدوا للأطفال أثراً، على الرغم من أنهم هم أيضاً سمعوا أحياناً بكاء يشبه بكاء الأطفال.

ولكن وباستثناء صدى صوت بكاء الأطفال الذي ظل يرن في آذان الأمهات إلى الأبد، لم يكن هناك أي أثر للأطفال. وظلت الأمهات أياماً يبكين وينحن في المخيم، لاطمات وضاربات رؤوسهن من شدّة الندم لأنهن وثقن بكلام غولو.

الويونيبون[1] وبيغابيلا[2]

خرج شقيقان من الويونيبون للصيد، كان أحدهما أصغر من الآخر سناً وحجماً، لذلك عندما شاهدا طائر الأمو قال له شقيقه الأكبر: «ابق هنا ولا تصدر أي صوت، وإلا سمعك بيغابيلا، الذي اجتزنا مخيمه منذ قليل، وحينئذ سوف يأتي ويسرق منا طائر الأمو فيما لو استطعنا اصطياده، إن بيغابيلا قوي جداً. سأحاول الآن اصطياد الأمو بهذا الحجر».

راقب الأخ الصغير شقيقه الأكبر وهو يتسلل إلى حيث طائر الأمو. كان يزحف بلصق الأرض تماماً. ورآه يقترب أكثر فأكثر من الطائر، ثم وثب فجأة أمامه ورمى الحجر بدقة تامة فقتله على الفور. طار الأخ الأصغر من الفرح، ونسي تماماً تحذير شقيقه له، فأطلق صرخة عالية ابتهاجاً بالحدث. نظر الأخ الأكبر إليه وأعطاه إشارة تحذيرية لكن بعد فوات الأوان، فقد سمع بيغابيلا الصرخة وأسرع باتجاههما.

---

(1) طيور صغيرة تشبه طيور أبي الحناء لكن ذيلها أطول وصدورها ليست حمراء (م).
(2) «بيغابيلا»: قنفذ النمل (م).

ترك الأخ الأكبر طائر الأمو بسرعة وانضم إلى شقيقه الصغير.

عندما وصل بيغابيلا إليهما، سألهما: «ماذا وجدتما؟».

أجاب الأخ الأكبر: «لا شيء، فقط وجدنا قليلاً من التوت الدبق».

«لا، لابدّ من أنكما وجدتما شيئاً أكثر أهمية من هذا، وإلا لما صرخ شقيقك الصغير عالياً هكذا».

خشي الأخ الأصغر من أن يجد بيغابيلا طائر الأمو ويأخذه منهما، فقال: «أصبت طائراً صغيراً بالحجر، وفرحت كثيراً لأن الإصابة كانت مباشرة».

«الصرخة التي سمعتها لم تكن لمجرد إصابة طائر صغير أو إبتهاجاً بالقليل من التوت الدبق، ما سمعته كان لسبب أكبر، أكبر بكثير مما تقولانه وإلا لَمَ صرخت مثل هذه الصرخة المبتهجة. إذا لم تقولا لي الآن ما السبب، فسأقتلكما كلاكما».

فزع الأخوان كثيراً، فبيغابيلا مقاتل كبير وقوي جداً، لذا عندما وجدا أنه جاد في كلامه أرشداه إلى مكان طائر الأمو القتيل.

«هذا بالضبط ما أريده لعشائي»، قالها وهو يجر الطائر إلى مخيمه. تبعه الأخوان، حتى إنهما ساعداه في إعداد النار لطبخ الطائر، على أمل أن يعطيهما حصتهما. بيد أن بيغابيلا رفض أن يعطيهما شيئاً، قائلاً إنه يجب عليه أن يأكله وحده.

مضى الشقيقان غاضبين خائبين باتجاه بعض السود الذين يسكنون بالقرب منهما، وأخبراهم أن لدى بيغابيلا طائر أمو سميناً وقد أعده لتوه لعشائه. قفز السود بسرعة حاملين رماحهم وأمروا الويونيبيين بإرشادهم إلى خيمة بيغابيلا، بعد أن وعدوهما بحصة من الطائر.

عندما أصبحوا على مسافة مرمى الرمح من بيغابيلا قاموا بتشكيل دائرة حوله ثم صوبوا رماحهم وأطلقوها باتجاهه. سقطت الرماح كثيفة فوقه واخترقت جسده بالكامل، صرخ بيغابيلا: «بنغالا، بنغيالا. يمكنكم أخذه، خذوه، خذوه». لكن السود لم يتوقفوا إلى أن أصبح بيغابيلا غير قادر حتى على الكلام، فتركوه كتلة من الرماح واستداروا للبحث عن الطائر. ولمفاجأتهم لم يجدوه، في تلك اللحظة فحسب أحسوا بغياب الويونيبيين. نظروا حولهم فوجدوا آثار أقدامهما حيث كان طائر الأمو، ثم اكتشفوا أنهما جرّا الطائر إلى مسكنهما المقام من الأعشاب.

عندما رأى الشقيقان السود قادمين باتجاههما، جرّا الطائر مجدداً إلى حفرة كبيرة يعرفان بوجودها من قبل، ووحدهما يعرفان كلمة السر لتحريك الصخرة الكبيرة الموجودة على بابها. حركا الصخرة، ثم دخلا وأدخلا الطائر وأعادا الصخرة إلى مكانها قبل وصول السود.

حاول السود إزاحة الصخرة فلم يفلحوا، لكنهم كانوا متيقنين من وجود الشقيقين هناك بعد تعقبوا آثارهما إلى ذلك المكان، وأمكنهم سماع أصواتهما من الجانب الآخر خلف الصخرة. وجدوا بعض التصدعات على جانبي الصخرة، فبدأوا بإدخال رماحهم فيها متأكدين من أنهم سيصيبون الأخوين في مقتل. إلا أن الشقيقين رأيا تلك الصدوع أيضاً وتوقعا ما سيفعله المهاجمون، لذلك وضعا الطائر الميت في المقدمة واختبآ خلفه ليشكل درعاً واقياً، فكان على الرماح أن تخترقه قبل أن تصل إليهما.

بعد أن شعروا بأنهم غرزوا رماحهم في جسدي الشقيقين جيداً، غادر السود طلباً للمساعدة في تحريك الصخرة، لم يبتعدوا إلا قليلاً عندما سمعوا ضحكات الشقيقين. فعادوا وأخذوا يسددون رماحهم بقوة أكثر، ثم غادروا ثانية، وللمرة الثانية أيضاً سمعوا صوت ضحكات الشقيقين.

عندما اكتشف الشقيقان أن ضحكاتهما تعيد المهاجمين كلّ مرة، قررا التزام الصمت، وهذا ما فعلاه.

بعد أن سدد السود ضربات جديدة برماحهم، ولم يعودوا يسمعون حديث الشقيقين أو ضحكاتهما، تأكدوا تماماً من موتهما، ثم أسرعوا لجلب من هم أكثر قوة وحنكة في المخيم لمساعدتهم على تحريك الصخرة.

بدأ الشقيقان بسرعة مناقشة الخطة الأمثل للتخلص من جماعة السود، والتأكد من عدم التعرض لهما مجدداً، لأنه لو حصل وقابلا أياً من أولئك السود فلن يكون رحيماً بهما البتة. كانا يتكلمان ويأكلان قليلاً من لحم الطائر لإسكات جوعهما.

بعد مدة عاد السود وفوجئوا بالصخرة وقد حُرّكت من مكانها. زحف بعضهم داخل الحفرة ولم يجدوا سوى بقايا الطائر، من دون أثر يدل على وجود الشقيقين. فخرجوا لإخبار البقية بذلك، لكن أصحابهم لم يصدقوا الحكاية ودخلوا ليتأكدوا من صحتها. فتشوا حولهم علهم يجدون ولو أثراً بسيطاً يدلهم على الشقيقين فوجدوا أن رماحهم لم تصب سوى الطائر الميت وأن الشقيقين قد بقيا على قيد الحياة وفرا بعيداً، لكن إن صح ذلك فأين آثارهما؟ فتشوا كثيراً بلا فائدة، فكل ما تمكنوا من

رؤيته هو طائرين صغيرين يجلسان فوق إحدى الشجيرات بالقرب من الحفرة، ويراقبانهم طوال الوقت.

ظل الطائران الصغيران قريبين وأحياناً كانا يحلقان حول الحفرة، لكنهما لم يتعدا على الإطلاق وظلا يعودان لموضعهما على الشجيرة القريبة، وقد بدا أنهما يناقشان القضية كاملة، بلغة لم يتمكن السود من فهمها. ومع مرور الوقت وعدم وجود أي علامة تدل على أثر الشقيقين، تأكد السود أنهما قد تحولا لهذين الطائرين الصغيرين ذوي الحنجرتين البيضاوين، وأنهما يجلسان على الشجرة بالقرب من الحفرة بغرض الهرب من الانتقام. ومنذ ذلك الوقت بدأ يطلق على تلك الطيور الصغيرة ذوات الحناجر البيضاء اسم ويومبين. وخلدت ذكرى بيغابيلا بنوع من قنفذ النمل الشبيه بالشيهم[1]، الذي يحمل اسمه الآن، وجلده مغطى بأشواك أشبه برماح منمنمة مغروزة فيه.

(1) الشيهم: حيوان من القوارض، وآكل النمل أو قنفذ النمل شبيه بالشيهم لجهة الشعر الشوكي الذي يكسو جلده، وهو معروف بأكل النمل (م).

بوتولغا الكركي وجونر الكنغر الفأر، مكتشفا النار

في الزمن الذي كان فيه طائر الكركي بوتولغا، متزوجاً من جونر، الكنغر الفأر، لم يكونوا قد اكتشفوا النار في بلدتهم بعد؛ فكان عليهم أن يأكلوا اللحم نيئاً أو مجففاً تحت أشعة الشمس. في أحد الأيام وبينما كان بوتولغا يفرك قطعتين من الخشب ببعضهما بعضاً، لاح له وميض خافت تبعه دخان خفيف. قال لـ جونر: «أرأيت ما حدث عندما فركت قطعتي الخشب بعضهما... دخان! سيكون أمراً رائعاً لو تمكنّا من إشعال النار لأنفسنا، سنتمكن ساعتها من طبخ طعامنا، ولن نضطر البتة لانتظار الشمس لتجففه لنا».

نظرت جونر إلى الدخان، فقالت: «بالطبع سيكون رائعاً. اقطع العصا نصفين وضعها فوق قليل من اللحاء والعشب الجاف فربما اضطرمت هذه الشرارة الصغيرة. نفذ بوتولغا ما قالته زوجته لما فيه من حكمة. وكم كانا سعيدين حين - بعد بضع محاولات - اشتعلت نار صغيرة، كما توقعت جونر وبدأ اللحاء يحترق

ببطء ويتصاعد منه الدخان، وهكذا اكتشف بوتولغا وجونر فن إشعال النار.

قرّرا فيما بينهما: «علينا أن نبقي الأمر سراً، لن نخبر أفراد القبيلة، وكلما أردنا طبخ السمك نذهب إلى أشجار الأكاسيا[1]. وهناك نشعل النار ونطبخ طعامنا في السر. سنخبئ عيدان النار في قلب البذور هناك، وسنحمل واحداً فقط في حقيبة جلد الكنغر».

طبخ بوتولغا وجونر السمك ووجدا طعمه لذيذاً جداً. أخذا قليلاً منه في عودتهما للمخيم. لاحظ السود فرقاً كبيراً بينها وبين طعامهم الذي يجففونه في العادة تحت الشمس، فسألوهما: «ما الذي فعلتماه بالسمك؟».

أجابا: «تركناه ملقىً تحت أشعة الشمس».

كان ردّهم: «لا، هذا ليس صحيحاً».

أصر بوتولغا وجونر على أنهما جففا السمك في الشمس. مضت الأيام، وكانا كلما اصطادا السمك يتواريان عن الأنظار، ويعودان بالطعام الذي يبدو مختلفاً تماماً عن طعام البقية. في النهاية

(1) أو الطلح (م).

وعندما وجد السود أن من المستحيل استخلاص أي معلومات منهما، قرروا مراقبتهما.

كلّف بولورال، بومة الليل، وكواريان الببغاء، بملاحقة الاثنين عند اختفائهما، ومعرفة مخبئهما وما الذي يفعلانه. وهكذا، عند الصيد التالي وبعد أن حصل بوتولغا وجونر على حصتهما من السمك وسارا باتجاه الدغل، لحق بهما بولورال وكواريان. رأياهما يختفيان بين أشجار الأكاسيا حيث تواريا عن النظر، فقررا تسلق الشجرة العالية التي وجداها بالقرب من أجمة الأكاسيا، ومن هناك رأيا كل شيء.

شاهدا بوتولغا وجونر يلقيان حمولتهما من السمك، ويفتحان حقيبة جلد الكنغر ليأخذا منها عوداً خشبياً، اشتعل العود الخشبي عندما نفخا عليه، وضعا في الوسط كومة من أوراق الشجر والأغصان الصغيرة وعلى الفور ومن تلك الكومة أمامهما ظهرت شعلة من النار، أخذ الاثنان يغذيان الشعلة بعيدان أكبر لتضطرم أكثر. وعندما خبت النار رأياهما يضعان السمك فوق الرماد المتبقي. عاد بولورال وكواريان إلى المخيم حاملين خبر اكتشافهما الجديد. وكم كان وقع الخبر رائعاً على السود في المخيم، وكثرت التساؤلات حول كيفية الحصول على

حقيبة الكنغر التي تحوي عود النار عندما يرجع بوتولغا وجونر ثانية إلى المخيم.

بعد طول نقاش اقترح ذوو اللحى الرمادية إقامة مهرجان كوروبوري، وهو مهرجان للرقص، واتفقوا على أن يكون مهرجاناً لا مثيل له على الإطلاق، وذلك لشد انتباه بوتولغا وجونر لدرجة تجعلهما ينسيان حراسة حقيبتهما الثمينة، فينتهزون الفرصة ويسرقون منها عود النار ويبدأون بإشعال النار للمصلحة العامة. فمعظمهم قد تذوق طعم السمك المطبوخ الذي جلبه صانعا النار إلى المخيم، ووجدوا طعمه لا يقاوم وما زالوا توّاقين لتذوقه من جديد.

طُلب من بيارغا الصقر أن يدّعي المرض، فيربط رأسه ويستلقي بالقرب من مكان جلوس بوتولغا وجونر خلال المهرجان. وهكذا سيتمكن من مراقبتهما عن كثب طوال الوقت، وفي اللحظة التي يكونان فيها غارقين في الضحك ولا يفكران سوى بالعرض الذي يدور أمامهما، سينتهز الفرصة ويسرق الحقيبة. بعد أن أعدوا خطة التنفيذ بدأوا استعداداتهم لإقامة مهرجان كوروبوري الضخم. فأرسلوا دعوات إلى كافة القبائل المحيطة، وتوسلوا قبيلة برالغا كثيراً للمشاركة، كونها تشتهر برقصاتها

الرائعة التي تخلب الألباب والتي من المؤكد أنها ستأسر انتباه صانعي النار.

وافقت جميع القبائل على المجيء، وانخرطوا فوراً في التحضيرات، وفي قرارة كل قبيلة الفوز على منافستها في غرابة الرسوم التي سيزين بها أفرادها أجسادهم وبهاء ألوانها. حظيت كل قبيلة لحظة وصولها بتصفيق كبير، لم يسبق أن رأى الشباب مثل هذا التنوع في الألوان والتصاميم. قدم أبناء قبيلة بيلير ببغاء الككتوه الأسود، وقد زينوا بشراتهم السوداء بضربات من اللون البرتقالي الضارب للحمرة. أما أبناء قبيلة البجع فقد التجأوا إلى حيلة التنافر، مستخدمين اللون الأبيض الصافي بلمسات صغيرة هنا وهناك فوق بشرتهم السوداء. وجاء أبناء قبيلة الغواصين[1] بشرتهم السوداء المصقولة اللامعة كالساتان.

ثم جاءت قبيلة ميليارز، أجمل عوائل الكنغر الفأر، الذين يستوطنون الموريلا، أي التلال الصخرية. بعدهم جاءت قبيلة بوكاندير، أو قبيلة القط الأصلي، مزينة بألوان باهتة لكنها مزدانة بشتى الأشكال والصور. وجاءت قبيلة مايراس أو البادي ميلون مسرعة هي الأخرى لتأخذ دورها في المهرجان الضخم. بعدهم،

(1) فصيلة الطيور التي تغطس في الماء مثل السامك (م).

وعلى مهل، جاءت أعضاء قبيلة برالغا، وقد بدوا طوالاً وقورين برؤوسهم المرفوعة الحمراء التي تظهر تبايناً صارخاً مع بشرتهم الرمادية، التي باعتقادهم أنها ألوان باهتة جداً وغير مشرقة تتناسب تماماً مع مثل هذه المناسبة المبهجة.

ولن ننسى أن نذكر ضمن هذا العدد الكبير من القبائل، قبيلة غالاب باللونين الوردي والرمادي. وقبيلة بيلاي بلونيها الأخضر والقرمزي، التي بدت فيهما في غاية الروعة فقد لون أعضاؤها أجسادهم بالأخضر العشبي بينما لونوا أطرافهم باللون القرمزي مما جعل تسميتهم تصبح فيما بعد الأجنحة القرمزية. وانضم أيضاً إلى الحفل قبيلة غدغاريغا.

كان التجمع عظيماً لدرجة أن بوتولغا الكركي، وجونر الكنغر الفأر أسرعا للانضمام إليه. لم ينسَ بوتولغا تحذير جونر قائلاً إن عليهما أن يكونا مجرد متفرجين وألا ينخرطا في الرقص لأن عليهما مراقبة الحقيبة. استمعت جونر لنصيحته وبقيت ملازمة له وقد علقت الحقيبة بذراعها. حذرها بوتولغا أن تبقى منتبهة وألا تغفل عن الحقيبة البتة. لكنها انغمست تماماً مع بدء المهرجان ونسيت الحقيبة التي أفلتت من ذراعها سهواً. فرح بوتولغا لأنه رآها أولاً، فأعادها لمكانها، وأوصى جونر بأن تنتبه

أكثر، مما أعاق خطة بيارغا الذي كان على وشك سرقتها، لكن يقظة بوتولغا المتوقدة أضاعت عليه الفرصة، ورغم ادعائه المرض لدرجة الموت، فإن الاثنين اللذين كان يراقبهما لم ينتبها إليه قطّ.

ربض ثانية وأخذ يئن، وعيناه مسمّرتان على جونر. ما هي إلا لحظات حتى كافأه الحظ ببدء دور قبيلة برالغا في الرقص، كانت الأعين شاخصة نحو العرض، أما عيناه الحريصتان فظلتا شاخصتين نحوهما، في حين دخل الراقصون الحلقة على مهل. في البداية تقدموا، انحنوا وانسحبوا، ثم أعادوا الكرة ثانية وثالثة وفي كل مرة كانوا يزيدون من سرعة حركاتهم، وتحولت الانحناءات إلى دوران وحركات عجيبة، مستعيضين عن وقارهم بهيئات غريبة جعلت المتفرجين يهتزون من الضحك، وقد حافظوا طوال الوقت على نفحة من الوقار التي زادت من غرابتهم.

في هذه اللحظة بالذات سنحت الفرصة سانحة لبيارغا الصقر، ففي خضم كل تلك الإثارة نسيت جونر الحقيبة، كما نسيها بوتولغا، وانضما للجمهور في التصفيق، وألقت جونر نفسها للخلف في ضحك لا يقاوم. عندئذ انزلقت الحقيبة من ذراعها. وبسرعة قفز الصقر المتمارض من خلفها والتقط الحقيبة

بفأسه، فتحها واختطف منها عود النار، وأشعل النار في كومة من العشب الجاهز بالقرب من المكان الذي كان يرقد فيه، حدث كل ذلك قبل أن يشعر الاثنان باختفاء الحقيبة.

وعندما اكتشفا ذلك قفزا من مكانهما. وركض بوتولغا خلف بيارغا لكن الأخير أطلق ساقيه للريح وفرّ مبتعداً عن بوتولغا. وفي أثناء ركضه أشعل النار مجدداً بعود النار الذي كان لا يزال بحوزته.

عندما تبيّن بوتولغا أنه لن يتمكن من الإمساك ببيارغا، وأن النار أصبحت في كل مكان، تخلى عن ملاحقته، لإحساسه بأن سره قد افتضح، فها هي النار قد صارت في متناول كافة القبائل التي كانت مجتمعة في ذلك المهرجان الراقص.

ويدا الطائر المحاكي

قام ويدا بحيلة ذكية لخداع السود الذين يسكنون في الجوار. فبنى بنفسه أكثر من عشرين عشاً وجعل أمام كل منها ناراً لتبدو مأهولة بالسكان، ثم بدأ يتنقل من عش لآخر مطلقاً صرخة رضيع هنا وضحكة طفل هناك، غناء بكر هنا ورقصة محارب هناك، ينادي بصوت متهدج لرجل مسنّ ثم يطلق صوتاً حاداً لامرأة عجوز وهكذا، كان يقلد أي صوت من تلك الأصوات بسرعة وتعاقب ليوهم المارين بالقرب من المكان بوجود حشد كبير من السود فيه.

وكان هدفه من وراء ذلك استدراج أكبر عدد ممكن من السود الغرباء في وقت واحد ليقتلهم جميعاً ثم يحتل البلدة المحيطة ببلدته تدريجياً. ولم تكن فرصته تبدأ إلا عندما ينجح في استدراج أحد السود إلى مخيمه، وكثيراً ما تمكّن من ذلك، ثم وبفضل حنكته وخبثه، كان دائماً يصل إلى غرضه في نهاية المطاف ويقتل الأسود. وهذا ما كان يحصل، ينفصل أحد

السود عن أفراد قبيلته بهدف المطاردة والصيد، وأثناء عودته إلى القبيلة يمر على مسافة تمكنه من سماع الأصوات الصادرة من مخيم ويدا فيتساءل من هي القبيلة التي تسكن هنا. ثم يغريه الفضول للاقتراب أكثر واستراق النظر إلى داخل المخيم فلا يرى سوى ويدا واقفاً وحده على مقربة من نار كبيرة ملتهبة، منتظراً اقتراب الأسود الغريب منه. ثم يسأله عن بغيته، فيرد الغريب أنه سمع أصواتاً صادرة من هنا وتساءل عمن يقطن هذا المخيم، لذلك قرر الدخول ومحاولة الاستطلاع. فيرد ويدا عليه: «لكن لا أحد هنا غيري أنا. كيف أمكنك سماع أصوات هنا؟ ألا ترى؟ انظر حولك، هل ترى أحداً غيري؟». فينظر الغريب حوله بذهول وحيرة ويقول بارتباك: «أين ذهبوا جميعاً؟ لقد سمعت عند مروري من هنا أصوات أطفال يبكون، ورجال يصرخون، ونساء يضحكن، سمعت الكثير من الأصوات لكني لا أرى سواك هنا!».

«بالفعل لا أحد غيري هنا. لابد من أن الريح حركت أغصان أشجار البالا، فاعتقدتها بكاء أطفال، ولعلك خلطت ما بين ضحك الحمير وضحك النسوة، أما صوت الرجال فمؤكد أنك سمعت صوتي. عندما يكون الرجل وحيداً في الأدغال، وتتطاول

الظلال، ويخيم الظلام، تظهر أمامه الكثير من التهيؤات الغريبة. انظر حول هذه النار، أين هي تهيؤاتك الآن. لا نساء يضحكن ولا أطفال يبكون، فقط أنا، ويدا أتكلم معك الآن». وبينما يواصل ويدا حديثه يحاول استدراج الرجل إلى النار، وعندما يصبحان قريبين جداً منها، يلتف ويدا بسرعة ويمسك بالرجل ويلقي به مباشرة في النار.

تكرر هذا المشهد مراراً إلى أن وصل لمرحلة بدأ فيه عدد رجال القبيلة المحيطة بمخيم ويدا يقل بشكل ملفت.

قرر موليان النسر، كشف لغز اختفاء الرجال من قبيلته، فلا أحد للآن يعرف أين أو كيف يختفون. وبالتحديد عندما لم يعد بيارغا ابن عمه، إلى المخيم، وضع موليان نصب عينيه متابعة المشكلة إلى أن توصل في نهاية الأمر لاكتشاف حقيقة هذا اللغز المحير. تعقب موليان آثار بيارغا الذي كان في ذلك الحين يتعقب كنغراً إلى حيث قتله، سار فوق أرض حجرية، ثم عبر الرمال وقطع السهول إلى أن وصل إلى أجمة من الأشجار الخفيضة. هناك عند الأجمة، وفيما كان لا يزال يتعقب بيارغا، سمع أصواتاً مختلفة، أطفالاً يبكون، نساء يغنين، رجالاً يتحدثون. استرق النظر من خلال الأجمة، فوجد أن مسار بيارغا يقوده

إلى مصدر الأصوات، ثم رأى المساكن المبنية بالأعشاب. «من يكون هؤلاء؟»، فكر قليلاً. قادته الآثار إلى المخيم مباشرة، حيث لا أحد يُرى سوى ويدا. تقدم موليان منه وسأله أين ذهب أولئك الذين كان يسمع أصواتهم منذ قليل.

أجابه ويدا: «كيف تريدني أن أخبرك وأنا لا أرى أحداً هنا؟ أنا أعيش هنا وحدي».

رد عليه موليان النسر: «لكنني سمعت بكاء أطفال، وضحكات نساء، ورجالاً يتحدثون، لم تكن تلك أصوات رجل واحد».

«وأنا هنا وحدي. اسأل أذنيك ما الحيلة التي تحيكانها ضدك، أو ربما عيناك هما اللتان خذلتاك الآن. هل ترى أحداً سواي هنا؟ انظر بنفسك».

«إذا كنت الوحيد هنا كما تقول، أخبرني إذن ما الذي فعلته بيبارغا ابن عمي؟ وأين بقية أصدقائي؟ تعقبت آثارهم ومعظمها قادني إلى هنا. جميعهم دخلوا هذا المخيم، لكن أحداً منهم لم يخرج. وطالما أنك الوحيد الذي يقطن هنا، إذن فأنت الوحيد القادر على إجابتي».

«ما علاقتي بك أو بأصدقائك، كيف لي أن أعرف شيئاً عنهم؟ لا أعرف شيئاً. اسأل الرياح التي تهب. اسأل باهلو القمر، الذي ينظر من عليائه ليلاً نحو الأرض. اسأل ياهي الشمس، التي تنظر من عليائها نهاراً نحو الأرض. لكن لا تسأل ويدا، الذي يقطن وحيداً هنا، ولا يعرف شيئاً عن أصحابك». كان ويدا يتكلم ويحاول بحذر استدراج موليان إلى النار.

بيد أن موليان النسر لم يكن أقل خبثاً، وليس من السهل خداعه. رأى النار الملتهبة أمامه، ورأى أيضاً آثار صديقه تنتهي هناك، ورأى ويدا يستدرجه نحو النار، وعلى الفور خطرت بباله فكرة، لو أمكن للنار أن تتحدث، فسوف تخبره عن مكان أصدقائه. لكن لم يحن الوقت ليظهر أنه فهم اللغز، لذلك تظاهر بأنه هو أيضاً سيقع في الفخ.

وفي اللحظة التي وصلا فيها قرب النار وقبل أن يقوم ويدا بدوره المعتاد، أمسك به موليان النسر بقوة قائلاً: «كما قدمت ابن عمي بيارغا الصقر، وأصدقائي للنار، أقدمك أنا لها الآن».

وألقاه مباشرة في وسط اللهب. ثم عاد مسرعاً لبلدته، ليخبر أفراد القبيلة لغز اختفاء أهلهم الذي طال وما الذي حل بهم. عندما ابتعد قليلاً عن مخيم ويدا، سمع صوتاً كهزيم الرعد. لكنه

لم يكن في الحقيقة كذلك، إنما كان صوت انفجار مؤخرة رأس ويدا، في تلك اللحظة انبثق من بقاياه ويدا الطائر المحاكي الذي نراه اليوم، ونرى في مؤخر رأسه ثقباً، تماماً في المكان نفسه الذي انثقب فيه رأس ويدا الأسود، ومن هنا جاء إلينا هذا الطائر.

إذا انتبهتم ستجدون أنه إلى يومنا الحالي تصنع طيور ويدا، ساحات للعب من العشب، تركض عبرها مقلدة وبتتابع سريع أي أصوات يمكن لها أن تسمعها، بدءاً من بكاء الأطفال، إلى ضحكات النسوة، من مواء القطط إلى نباح الكلاب، وهكذا اتخذ ويد اسمه: الطائر المحاكي.

غوين بو أبو الحناء أو ذو الصدر الأحمر

ذات يوم نزلت غوين بو وغوماي - وهما من فئران الماء- إلى الغدير لاصطياد بلح البحر، وفجأة أدهشهما ظهور الكنغر يقفز في الماء على مقربة منهما. عرفتا أنه لابدّ هارب من الصيادين، الذين على الأرجح ما زالوا يطاردونه، وهكذا هرعت غوين بو وحملت هراوتها وضربت الكنغر على رأسه وسرعان ما علق بين أعشاب الغدير فلم يستطع الهرب. وعندما قتلت العجوزان الكنغر خبأتاه تحت الأعشاب في الغدير خشية أن يأتي الصيادون للمطالبة به بعد أن تطبخاه.

على ضفة الغدير كان ابن غوين بو الصغير يشاهد ما حدث، وبعد أن أخفيتا الكنغر، حملت المرأتان ما جمعتاه من بلح البحر وانطلقتا إلى المخيم، وفي الطريق صادفتا الصيادين كواريان وغدغريغا وهما بغاوان، وكانا قد تبعا أثر الكنغر إلى الغدير.

وعندما رأيا المرأتين سألا: «هل رأيتما الكنغر؟».

أجابت المرأتان: «لا، لم نر أي كنغر».

«هذا غريب، لأننا تبعنا أثره إلى هنا».

«لم نر أي كنغر. انظرا، كنا نصطاد بلح البحر لطعامنا. تعالا معنا إلى المخيم وسوف نعطيكما بعضاً منه بعد أن نطبخه».

شعر الرجلان بالحيرة، فتبعا المرأتين إلى مخيمهما، وهناك وبعد أن جهز الطعام، انضما إلى الأسرة ليشاركونهم طعام العشاء. لكن الصبي الصغير رفض أن يأكل البلح وظل طوال الوقت يبكي ويقول لأمه: «غوين بو، غوين بو، أريد لحم الكنغر، أريد لحم الكنغر. غوين بو، غوين بو».

قال كواريان: «أرأيت، لا شك أن صغيرك قد رأى الكنغر ولذلك هو يطلبه، لابدّ من وأن الكنغر هنا في مكان ما».

قالت غوين بو العجوز: «أوه، لا. طفلي يبكي دائماً ويطلب ما يخطر في باله، أحياناً يطلب الكنغر، وأحياناً أشياء أخرى، إنه مجرد طفل صغير ولا يعرف ماذا يريد».

ولكن الطفل لم يسكت ولما يزل يبكي ويقول: «غوين بو، غوين بو. أريد الكنغر، أريد الكنغر».

غضبت غوماي من الطفل الصغير الذي ظل يبكي ويسأل عن الكنغر حتى زرع الشك في قلب الصيادين، فضربته على فمه لتسكته، وكانت الضربة شديدة فبدأ الدم يسيل من فمه ملطخاً صدره بالأحمر. وعندما رأت غوين بو العجوز الدم غضبت أيضاً وبدورها ضربت غوماي العجوز التي ردت اللكمة وهكذا بدأ العراك بين المرأتين. كانت المرأتان تكيلان الشتائم والكلام أكثر من اللكمات وعلت أصواتهما محدثة ضجة كبيرة.أما الطفل فظل يبكي ولم يستطع الرجلان أن يحددا أما زال يبكي من أجل الكنغر، أم أنه يبكي من ألم ضربة غوماي، أم أنه يبكي خوفاً وهو يشاهد أمه تتعارك مع غوماي.

قال كواريان لغدغاريغا: «إنهما تخفيان الكنغر في مكان ما، دعنا نتسلل فلن تنتبها لنا في هذه الفوضى. سوف نختبئ ثم نعود لنفاجئهما بعد قليل».

وبسرعة انسلّ الاثنان. وحالما لاحظت المرأتان غيابهما، أوقفتا القتال وقررتا أن تطبخا الكنغر. راقبتا الرجلين يبتعدان وانتظرتا فترة لتطمئنا أنهما بأمان، ثم أسرعتا إلى الغدير لإحضار الكنغر. أخرجتا الكنغر وكانتا تجهزان الموقد لتطبخانه عندما ظهر كواريان وغدغاريغا أمامهما فجأة: «آها! لقد عرفنا هذا.

لقد أخفيتما الكنغر خاصتنا كل تلك الفترة. لقد كان الصبي الصغير على حق إذن».

قالت المرأتان: «ولكننا نحن من قتله».

قال الرجلان: «ولكننا طاردناه إلى هنا»، عندما لمحا الكنغر وجرّاه بعيداً حيث حضرا موقدا وبدآ بطبخه. ذهبت غوماي وغوين بو والصبي الصغير إليهما ورجوهما أن يعطيانهم بعض اللحم. ولكنّ الشابين رفضا منحهم شيئاً رغم بكاء الطفل الصغير المثير للشفقة. وقالا إنهما يفضلان أن يعطيا ما يزيد عنهما للصقور بدلاً من أن يعطيانه للمرأتين أو للطفل. وفي النهاية عندما أدركتا أنه لا جدوى من رجائهما وأنهما لن تحصلا على أي نصيب من اللحم، مضت المرأتان في سبيلهما. وقررتا أن تنتقما من أعدائهما، وهكذا بنتا ملاذاً آمناً وجلستا فيه مع الصغير ثم بدأتا بالغناء لاستجلاب عاصفة تدمر أعدائهما وهكذا أنشدتا:

«موغاري، موغاري، مي، مي،

إيوهو، إيوهو، دون غاراه».

في البداية بدأتا بصوت خفيض وإيقاع بطيء ثم بدأ صوتهما يعلو بإيقاع سريع، حتى وصل لدرجة الصراخ. وكانت كلمات

الأغنية تعني: «تعالي أيتها العاصفة الثلجية، تعالي أيتها الريح، تعال أيها المطر، تعال أيها البرق».

وبينما تنشدان، كان الطفل الصغير لا يزال يبكي وعجزتا عن إسكاته، ولكن سرعان ما استجابت الطبيعة لغنائهما وبدأت قطرات كبيرة من المطر بالانهمار، ثم هبّت رياح عاصفة، فهدأ بكاء الطفل، ثم تزايد انهمار المطر وتبعه الرعد والبرق، وأصبح البرد قارساً، وأخيراً هبّت عاصفة ثلجية هوجاء وبدأت حبات البرد تتساقط أكبر من بيض البط، فأسقطت أوراق الشجر وجرحت لحائه. وعندئذ ركض كواريان وغدغاريغا إلى الخيمة يطلبان المأوى، ولكن المرأتين رفضتا طلبهما.

صرخت غوين بو لتسمع صوتها في صخب العاصفة: «لا، لم تعطيانا بعضاً من الكنغر، ولن تحصلا على المأوى. اذهبا لتأويكما الصقور التي فضلتماها علينا». تضرّع الرجلان إليهما لتأويهما، ووعدا بأن يصطادا لهما ليس كنغراً واحداً بل العديد منها. صرخت المرأة ثانية: «لا، لم تشفقا حتى على بكاء طفل صغير، ومن هو مثلكما يستحق الهلاك».

وكلما ازدادت شراسة العاصفة علا صوت غناء المرأتين:

« موغاري، موغاري، مي، مي،

إيوهو، إيوهو، دون غاراه».

استمرت العاصفة طويلاً وكانت شديدة وشرسة وكانت حتماً سوف تهلك الصيادين لولا أنهما تحولا إلى طيرين ثم إلى نجمتين في السماء، حيث ما زالا هناك وبينهما الكنغر. وما زالا يحملان الاسمين اللذين ولدا بهما: كواريان وغدغاريغا.

الـ ميمي أو الشقيقات السبع

بعد يوم طويلٍ شاقٍ قضاه واروناه في رحلة الصيد، عاد إلى المخيم متعباً جائعاً. طلب من أمه العجوز أن تجهّز له بعض الديري وهو خبز مصنوع من بذور الأعشاب، لكنها قالت إنه لم يبق لديهم منه شيئاً. ثم سأل بعض السود ليعطوه قليلاً من بذور الدونبير[1] ليصنع الخبز لنفسه، لكن أحداً منهم لم يقدم له شيئاً، فاستشاط غضباً وقال: «سأرحل إلى أبعد بلد لأعيش بين الغرباء ما دام أهلي أنفسهم تركوني أتضور جوعاً».

جمع أسلحته وهو يتميّز غيظاً ومضى يبحث عن شعب وبلد جديدين. وبعد أن سار مسافة لا بأس بها، رأى من بعيد شيخاً يقطع كوَر النحل. استدار هذا وأخذ ينظر باتجاه واروناه، مراقباً قدومه، وللمفاجأة رأى واروناه عند اقترابه من الشيخ أنه بلا عينين، رغم أنه بدا يراقبه من مسافة بعيدة قبل أن يتمكن حتى من سماعه. جزع واروناه لمرأى هذا الغريب الذي بلا عينين ومع

(1) الدنبير: بذور الأعشاب (م).

ذلك بإمكانه النظر باتجاهه كأنه يراه فعلاً، لكنه قرر ألا يظهر خوفه، واستمر في السير نحوه. عندما وصل إليه أخبره الغريب أن اسمه موررونيوميلداه، وهذا ما تسمى به قبيلته أيضاً لأنهم جميعاً بلا عيون، لكن بإمكانهم الرؤية من خلال أنوفهم.

رأى واروناه هذا الأمر شديد الغرابة ولم يفارقه الشعور بالخوف، على الرغم مما أبداه موررونيوميلداه من طيبة وحسن ضيافة، فقد قدم لواروناه الذي بدا جائعاً حسب قوله، طبقاً من العسل، وأطلعه على مكان مخيمه، وأذن له بالإقامة لديه.

أخذ واروناه العسل واستدار كأنه متجه نحو المخيم، لكن في اللحظة التي ابتعد بها عن نظر الشيخ، فكر أنه من الحكمة أن يسلك وجهة أخرى.

مشى لبعض الوقت، حتى وصل إلى بحيرة كبيرة، قرر أن يحطّ رحاله عندها. أخذ جرعة كبيرة من الماء ثم استلقى لينام قليلاً. استيقظ في الصباح ليجد سهلاً واسعاً مكان البحيرة. ظن أنه يحلم، فرك عينيه ونظر ثانية.

قال لنفسه: «يا لها من أرض غريبة، في البداية أقابل رجلاً من دون عينين لكن باستطاعته الرؤية، ثم أقع على بحيرة كبيرة ليلاً

لأجدها قد اختفت في الصباح. أنا متأكد من أنها كانت هنا، لقد شربت منها بالأمس، والآن لا أثر للماء».

وبينما هو يتساءل كيف اختفت البحيرة بهذه السرعة، رأى عاصفة قوية قادمة باتجاهه، أسرع للاحتماء داخل الدغل وما هي إلا بضع خطوات حتى شاهد كمية من لحاء الأشجار منثورة على الأرض.

قال لنفسه: «هذا هو الصواب، سأحضر بعض الأغصان وبهذا اللحاء سأصنع لنفسي ملجأ يحميني من تلك العاصفة القادمة».

قطع بعض الأغصان، وغرزها بشكل عامودي لتشكل إطاراً للمجأ. ثم اتجه لحمل اللحاء. في اللحظة التي حمل بها أحد الألواح رأى شيئاً عجيب المظهر لا ينتمي إلى أي قبيلة قد رآها في حياته.

صرخ الشيء العجيب بقوة: «أنا بولغانونو». كان صوته مخيفاً إلى درجة أن واروناه أفلت اللحاء من يده، والتقط أسلحته بلمح البصر وانطلق يسابق الريح، ناسياً تماماً أمر العاصفة، ولم يكن يفكر سوى بالابتعاد قدر ما يستطيع عن بولغانونو.

ظل يركض إلى أن وصل إلى نهر كبير، طوقه من جهات ثلاث، وكان النهر كبيراً لدرجة أنه لا يمكن عبوره، لذلك قرر العودة أدراجه، لكنه لم يسلك الطريق نفسه هذه المرة، إنما اتخذ وجهة مختلفة. في اللحظة التي استدار بها لمغادرة النهر رأى سرباً من طيور الأمو مقبلاً نحو الماء. كان النصف الذي في مقدمة السرب مغطىً بالريش، أما النصف الذي في المؤخرة فكان على هيئة طيور الأمو لكن من دون ريش.

قرر واروناه اصطياد أحد الطيور برمحه ليأكله. فتسلق شجرة واختبأ عن نظر الطيور، وجهز رمحه استعداداً لاصطياد أحد تلك الطيور التي بلا ريش. وحالما عبر السرب على مقربة منه، اختار هدفه وأطلق رمحه باتجاهه فقتله، ثم نزل من الشجرة لالتقاطه.

وبينما يركض باتجاه طير الأمو القتيل، اكتشف أنها لم تكن في الحقيقة طيوراً، إنما مجموعة سود ينتمون إلى قبيلة غريبة. كانوا متحلقين حول جسد صديقهم القتيل يلوحون بقبضاتهم إشارة للانتقام. لم يرَ واروناه أمامه من سبيل سوى الفرار، وذلك لضعف حجته في قتل صديقهم بالخطأ معتقداً أنه أحد طيور الأمو. ومرة أخرى استدار على عقبيه، بالكاد يجرؤ على

النظر للخلف خشية أن يكون أحد قد رآه من أعدائه. أسرع في الهرب، إلى أن وجد أمامه مخيماً، وصله قبل أن ينتبه إليه، فقد كان تفكيره منصباً على الخطر المحدق به في الخلف، دون أن يفكر فيما يمكن أن يظهر أمامه.

لم يكن هناك ما يخيف في ذلك المخيم الذي وصله على حين غرة، إذ لا تعيش فيه سوى سبع فتيات يافعات، لا يبدو عليهن ما يثير الخوف، بل على العكس بدون أكثر منه جزعاً. ثم صرنَ ودودات جداً معه عندما وجدن أنه وحيد وجائع. فقدمن له الطعام وسمحن له بالمبيت في مخيمهن تلك الليلة، وعندما سألهن عن بقية قبيلتهن وعن أسمائهن، أخبرنه بأنهن يدعين الميمي، وأن قبيلتهن تقطن في بلد بعيد، وقد جئن إلى هذا البلد للتعرف عليه واستكشافه لا أكثر، وسوف يبقين لمدة قصيرة ثم يعدن من حيث أتين.

في اليوم التالي انطلق وارروناه من جديد، مغادراً مخيم الميمي، كأنه يبتغي الخير. لكنه كان عازماً على الاختباء ومراقبة الفتيات، وربما حظي بفرصة سرقة زوجة له من بينهن، فقد ملّ السفر وحيداً. شاهد الفتيات يغادرن حاملات عصي اقتلاع اليام بأيديهن. لحق بهن محاذراً أن يرينه. فرآهن يتوقفن بالقرب من

أعشاش نمل طيّار، وبواسطة العصي قمن بالحفر حول جحور النمل ونجحن بإخراجه من مكمنه وجلسن، بعد أن ألقين بالعصي جانباً، يحتفلن بوليمة النمل الشهية التي تعتبر بنظرهن من الولائم الشهيّة.

في الوقت الذي انشغلت فيه الفتيات بالوليمة، تسلل واروناه نحو عصي اليام العائدة لهنّ، وسرق منها اثنتين وعاد إلى مخبئه. بعد أن شبعت الفتيات سارعن لالتقاط عصيهن والعودة إلى المخيم ثانية، لكن خمساً منهن فقط وجدن عصيهن وهن فقط تمكّن من المغادرة، بينما بقيت الأختان الأخريان تبحثان عن عصويهما، مفترضتين أنهما ستجدانهما في مكان ما قريب، وتتمكنان بعدها من اللحاق بشقيقاتهما. بحثت الفتاتان في كل مكان حول أعشاش النمل لكنهما لم تجدا العصوين. في النهاية وعندما كانتا موليتان ظهريهما لواروناه، تسلل باتجاهما وغرز العصوين المفقودتين بقوة في الأرض ثم انسل عائداً لمكانه. عندما استدارت الفتاتان وجدتا العصوين أمامهما فصرختا صرخة ملؤها السعادة والدهشة وركضتا باتجاههما، أمسكتا بهما وحاولتا إخراجهما من الأرض حيث غرزتا جيداً. في أثناء ذلك قفز واروناه من مخبئه وأمسك بالفتاتين بقوة. حاولتا التخلص من قبضته وملأتا الدنيا

صراخاً، لكن بلا جدوى، فلا أحد في الجوار يمكنه سماعهما. وكلما حاولتا المقاومة أكثر ازداد تشبثه بهما. في النهاية، وجدت الفتاتان أن من العبث الاستمرار بالصراخ والمقاومة، فاستسلمتا بعد طول صراع. قال لهما واروناه ألا تخشيا شيئاً، فهو سيعتني بهما، وأنه يشعر بالوحدة ويريدهما زوجتين له، لذلك عليهما الذهاب معه بكل هدوء وسوف يكون طيباً معهما، لكن عليهما تنفيذ أوامره، وإن لم تسكتا فسوف يسكتهما إلى الأبد بطريقته، أما إذا سارتا معه بكل هدوء فسيكون طيباً جداً معهما. عندما بدت المقاومة غير ناجعة، استسلمت الفتاتان لرغبته وسافرتا معه بصمت. قالتا له إن قبيلتهما ستسعى ذات يوم خلفهما، وليتجنب ذلك مضى بأسرع ما يمكنه إلى أبعد نقطة ممكنة أملاً منه في الهرب من المطاردة.

بعد مرور بضعة أسابيع، بدا على الأختين الاستقرار والاعتياد على الحياة الجديدة، على الرغم من أنهما كلما كانتا وحدهما تعودان للحديث عن أخواتهما، والتساؤل عما يمكن أن يكن قد فعلنه عند اكتشافهن اختفائهما، متسائلتين ما إذا كانت أخواتهما الخمس ما زلن يبحثن عنهما، أو رجعن إلى القبيلة لطلب المساعدة. لم يخطر ببالهما أبداً أنهما ستصبحان مع الوقت في

عداد النسيان، أو ستتركان للعيش مع وارروناه للأبد. وفي أحد الأيام وهما في المخيم مع وارروناه قال لهما: «لن تضطرم هذه النار جيداً، فهي بحاجة إلى المزيد من اللحاء، اذهبا واقطعا اللحاء من شجرتي الصنوبر هناك».

أجابتاه: «لا، لا ينبغي لنا قطع اللحاء. لو فعلنا ذلك، فسوف لن ترانا قطّ».

«اذهبا! قلت لكما، واقطعا اللحاء. أريد اللحاء الآن، ألا تريان أن النار تشتعل ببطء؟».

«لو ذهبنا يا وارروناه، فلن نرجع البتة. لن ترانا في هذا البلد مجدداً. صدقنا».

«كفا عن الكلام الفارغ واذهبا الآن، هل تعتقدان أن النار ستشتعل بهذركما؟ كفى ثرثرة واذهبا ونفذا أوامري، لو هربتما سأمسك بكما وأعاقبكما عقاباً شديداً، اذهبا، لن أزيد على هذا».

سارت الأختان، تحملان خنجرين لقطع اللحاء. اتخذت كل واحدة منهما لنفسها شجرة وأخذت تضرب اللحاء بالخنجر ضربات قوية. وعلى الفور شعرتا بأن الشجرتين بدأتا بالارتفاع

عالياً، وبجرهما معهما. علت شجرتا الصنوبر أكثر فأكثر، وابتعدت الفتاتان أكثر فأكثر. عندما لم يعد واروناه يسمع صوت تقطيع اللحاء، هرع إليهما ليعرف سبب تأخرهما، ولما اقترب منهما رأى شجرتا الصنوبر تنموان أعلى فأعلى ورأى زوجتيه معلقتين بجذعيهما عالياً في الهواء. فناداهما لكنه لم يسمع جواباً. ظل ينادي عليهما من وقت لآخر في حين تعلو الشجرتان أكثر فأكثر، ولم يجبه أحد. واصلت الشجرتان ارتفاعهما حتى لامستا السماء، في هذه اللحظة ظهرت الشقيقات الخمس ونادين على أختيهن المعلقتين على الشجرتين وطلبن منهما ألا تخافا وأن تواصلا التقدم نحوهن. وبسرعة تسلقت الأختان للأعلى فور سماعهما أصوات شقيقاتهما. عند وصولهما مدت الشقيقات الخمس أيديهن وسحبنهما نحوهن حيث عاشتا معهن في السماء إلى الأبد.

وهناك في الأعلى، لو نظرتم قد ترون الشقيقات السبع معاً. ربما أنتم تعرفونهن باسم الثريا، لكنّ أصدقاءنا السود يسمونهن الميمي.

كوكوبوراه وغولاغول

كان غوغار الإغوانا[1]، متزوجاً من موداي الأبوسوم وكوكوبورا، الجاك آس[2] الضاحكة، التي كانت أماً لثلاثة أبناء، أحدهم وهو الأكبر يعيش بعيداً عنها، أما الأخوان الباقيان فكانا لا يزالان صغيرين. كان مخيم العائلة مبنياً بالقرب من الغولاغول، حيث يحصلون على الماء. والغولاغول شجرة تخزن الماء في جوفها من فصيلة اللحاء الفولاذي أو البقس. لهذه الشجرة شق في قمة جذعها ويكون الجذع في العادة مجوفاً، وعندما تهطل الأمطار بغزارة يمتلئ الجذع بالماء. وهكذا يمكن للغولاغول حفظ الماء لمدة طويلة، ويعرف السود هذه الشجرة من خلال العلامة التي يخلفها تدفق الماء داخل الجذع مغيراً لون اللحاء.

في أحد الأيام، خرج غوغار الإغوانا وزوجتاه للصيد، تاركين الولدين الصغيرين الكوكوبورا في المخيم. وأخذوا الماء في قرب

(1) الإغوانا: سحلية ضخمة ذات أقدام قوية وأصابع مخلبية ولسان كالشوكة، الإغوانا صيادة ماهرة وشرسة تتغذى على الأرانب والسحالي الصغيرة والثعابين (م).
(2) الجاك آس الضاحك: الشخص الأبله، الذي يضحك بلا سبب (م).

من جلد الأبوسوم، لكنهم لم يتركوا شيئاً للطفلين اللذين كانا أصغر من أن يجلبا الماء لنفسيهما من الغولاغول، لذا سرعان ما أصابهما الظمأ. انتفخ لساناهما، وفقدا المقدرة على الكلام، عندما رأيا أمامهما رجلاً قادماً نحوهما. عندما اقترب أكثر منهما اكتشفا أنه كوكوبورا الأخ الأكبر. لم يتمكنا من التحدث إليه وإجابته عن سؤاله عن مكان أمه.

ثم سألهما ما الأمر، وكل ما استطاعا فعله هو أن أشارا إلى شجرة الغولاغول، فقال: «هل غادرت أمكما دون أن تترك لكما ماء للشرب؟»، هزا رأسيهما بالإيجاب. «إذن أنتما ميتان من العطش يا أخويَّ الحبيبين؟»، فأومآ برأسيهما.

قال الأخ الأكبر: «تعالا، سأنتقم لكما، ستريان بعد قليل ما سأفعل بهم، يذهبون ويتركون أخويّ الصغيرين يموتان عطشاً، حسناً سنرى الآن؟».

اتجه نحو الشجرة، تسلقها، وشقها طولياً حتى النهاية. في تلك اللحظة اندفع الماء بسرعة مشكلاً جدولاً. أطفأ الصغيران ظمأهما، ولفرحتهما الكبيرة استحما ولعبا بالماء الذي كان يزداد حجماً في كل لحظة.

في تلك الأثناء عاد الآخرون من رحلة الصيد، لكنهم فوجئوا بوجود جدول جارٍ من الماء يفصلهم عن مخيمهم. فتساءلوا: «ما هذا؟ لابدّ من أن شجرة الغولاغول قد طفحت وانبثق الماء منها»، ثم حاولوا سد الماء، لكنه ظلّ يتدفق بسرعة كبيرة وبقوة. توقفوا عن المحاولة وأسرعوا باتجاه المخيم، فوجدوا أن المياه التي تفصلهم عن مخيمهم عميقة جداً. رأى الأخوة الثلاثة أهلهم، فقال الأخ الأكبر للأخوين الصغيرين: «نادياهم واطلبا منهم عبور الماء، من المكان الضحل الأقل عمقاً». فعل الصغيران ما طلب منهما، وحيث أشارا، قام غوغار وزوجتاه بالخوض في الماء. عندما وجدت أنها لا تتجاوز عمق الماء صرخت كوكوبورا الجاك آس الضاحكة، منادية: «غور غور غاه غاه. غوغ غور غاه غاه. أعطني العصا، أعطني العصا».

لكن أبناءها الموجودين على الضفة الأخرى اكتفوا بترديد كلامها ساخرين: «أعطني العصا، أعطني العصا». وسرعان ما ابتلع الماء الصيادين الثلاثة وجرفهم التيار بعيداً.

الـ مياماه

غادر السود جميعاً مخيمهم لحضور احتفال بورا، وهو تجمع ضخم للقبائل يبدأ فيه الفتية بالتعرف إلى بعض المهارات الغامضة والسرية، التي بإتقانها ينتقلون من مرحلة الفتوة إلى مرحلة الشباب. لم يبق في المخيم أحد، ما عدا الكلب المسنّ الذي لا يقوى على الترحال.

بعد مرور ثلاثة أيام على غياب السود، قرر أعداؤهم الغووايا في إحدى الليالي، مفاجأتهم وقتلهم جميعاً. فقدموا وقد طلوا أجسادهم بطلاء الحرب، وعقدوا شعورهم للأعلى وزينوها بالريش وأسنان الكنغر.

كانت أحزمة الوايواه المصنوعة من جلود البادي ميلون الولب، والكنغر الفأر ملفوفة حول خصورهم، ومحززة ليعلّقوا بها بعضاً من أسلحتهم كالبمرنغ والواغوراه[1].

(1) الواغوراه: نوع من الأسلحة البدائية كالهراوة (م).

بدوا مستعدين للغزو لكنهم لم يجدوا في المخيم المهجور سوى الكلب االهرم. فسألوه أين ذهب السود. لم يجب سوى بهز رأسه، سألوه ثانية وثالثة وكان يكتفي بهز رأسه فقط. فاض الكيل ببعض الرجال وشهروا رماحهم وهراواتهم أو النولا–نولا في وجهه متوعّدين: «إذا لم تخبرنا إلى أين ذهبوا فسنقتلك فوراً».

فتكلم الكلب الهرم قائلاً: «ذهبوا إلى البورا».

في اللحظة التي تكلم فيها الكلب، تحول جميع الغووايا وكل ما يحملونه إلى حجارة، حتى أحزمة الوايواه الملفوفة حول خصورهم، والعقد المربوطة في أعلى رؤوسهم، والرماح في أيديهم كل هذا تحول إلى حجر. عندما عاد السود بعد مدة وفي نهاية مهرجان بورا إلى مخيمهم، وبعد ذهاب الفتية الذين أصبحوا شباباً إلى الأدغال، للخضوع لفترة التجربة وكل منهم مع حارسه الفردي، رأى السود أعداءهم الغووايا يحاصرون مخيمهم القديم استعداداً للهجوم. لكن عوضاً عن أن يكونوا رجالاً من لحم ودم كانوا مجرد تماثيل حجرية لرجال بكامل عدتهم وعتادهم.

وهناك، في ذلك المكان بالتحديد ستجدون حجارة المياماه رائعة الجمال، مخططة وملونة تماماً كما كان الرجال ملونين. وتقع المياماه فوق أحد الجبال بالقرب من بريمي.

الـ بن بن دولاي

وضعت الأم بن بن دولاي طفلها الذي بالكاد كان يزحف، في سلة الغولاي، وهي عبارة عن شبكة منسوجة على غرار الهاموك، أي الأرجوحة الشبكية، تعلقها نساء على ظهورهن، ويحملن فيها صغارهن وحاجياتهن. وضعت بن بن دولاي، الحمامة، طفلها في الغولاي، على ظهرها، وانطلقت للصيد.

ما إن ابتعدت قليلاً حتى وجدت أجمة من البوناي أو أشجار الأكاسيا. وجدت في أسفل الأشجار بعض اليرقات الكبيرة، ورأت أنها ستكون طعاماً مناسباً للقطة. انحنت تجمع اليرقات، ثم أخذت تنبش بعصا اليام جذور الشجرة لتحصل على المزيد. صارت تنتقل من شجرة لأخرى، ثم قررت وضع طفلها جانباً لتقوم بجمعها كلها، ثم بدأت تبتعد رويداً رويداً.

ما هي إلا لحظات حتى نسيت، في حمى بحثها، الغولاي والطفل واستمرت في التجول بعيداً.

كانت تبتعد أكثر فأكثر عن أجمة الدوناي، ولم يخطر ببالها طفلها المسكين ولو للحظة. مشت ومشت حتى ابتعدت بها الطريق كثيراً، ووصلت إلى بلدة نائية.

استيقظ الطفل، وزحف خارج الغولاي. في البداية، كان يزحف فقط، لكنه بسرعة كبر وصار أقوى، فنهض واستند إلى الشجرة. ثم يوماً بعد يوماً صار يكبر أكثر وتمكن من المشي وحيداً، وظل ينمو ويصبح أكثر قوة، حتى تمكن من الركض، ثم كبر ليصبح صبياً كبيراً، ثم أصبح شاباً، ولم يرَ أمه البتة طوال فترة انتقاله من طفلٍ إلى شاب.

لكن هناك في البلدة النائية، وفي أحد الأيام، تذكرت الأم بن بن دولاي طفلها الصغير الذي تركته وراءها.

فصرخت: «يا إلهي، نسيت طفلي، تركت طفلي عند الدوناي في البلدة البعيدة. يجب أن أعود إليه. يا صغيري المسكين! لقد نسيتك. كنت مجنونة حين نسيتك هناك. يا صغيري، يا صغيري!».

وبأقصى سرعة ممكنة عادت الأم إلى حيث تركت طفلها عند أجمة الدوناي في البلدة النائية. وعندما وصلت إلى المكان

وجدت آثار طفلها، في البداية وجدت آثار زحفه، ثم وجدت أثره عندما تمكن من الوقوف، ثم وجدت أثره عندما صار يمشي، وأثره عندما صار يركض.

كانت الآثار التي تعقبتها تصبح أكبر فأكبر، إلى أن رأت أنها أصبحت آثار شاب. ظلت تسير خلف الآثار حتى وصلت إلى أحد المخيمات. فوجدته خالياً تماماً، لكن النار كانت لا تزال مشتعلة، فانتظرت الأم هناك ريثما يعود أصحاب المخيم، وفيما تنتظر، تطلعت حولها، فرأت أن ابنها قد صنع لنفسه العديد من الأسلحة، ولديه العديد من جلود الأبوسوم، التي صبغها بألوان زاهية.

ثم في النهاية رأت رجلاً قادماً باتجاه المخيم، وتيقنت من أنه طفلها الصغير الذي صار رجلاً. لما اقترب منها ركضت لملاقاته وهي تنادي: «بن بن دولاي، أنا أمك، أمك التي نسيتك طفلاً صغيراً ورحلت بعيداً. لكنني رجعت الآن لأجدك يا ولدي، طويلة كانت رحلتي، يا ولدي، وأمك كانت منهكة، لكن الآن وبعد أن رأيتك لم أعد أحس بالتعب، فقلبي سعيد جداً أكاد أطير من الفرح. آه، يا بن بن دولاي، يا ولدي! بن بن دولاي، يا ولدي!».

ركضت باتجاهه فاتحة ذراعيها لتحضنه.

لكن وجه بن بن دولاي الابن ظل عابساً، ولم يجبها، إنما انحنى نحو الأرض والتقط حجراً كبيراً، وألقاه بكل قوته نحو أمه، التي سقطت صريعة على الفور.

ثم مضى بن بن دولاي مبتعداً عن أمه باتجاه مخيمه.

أونايرواه وجويناري

أخبر أونايرواه، الغواص وجويناري النسر، جميع أفراد القبيلة من البجع والإوز الأسود والكركي وغيرهم، أنهما ذاهبان لصيد السمك فمن يرغب منهم بمصاحبتهما لمطاردة الأسماك باتجاه الشبكة فليأتِ.

رحّب البجع، والإوز الأسود والكثير غيرهم، بفكرة مرافقتهما إلى الغدير. قفزوا وبدأوا يطرطشون المياه لإخافة السمك واستدراجه باتجاه المكان الذي تمركز فيه أونايرواه وجويناري مع شبكة الصيد.

صرخ ديريري، أبو فصادة[1]، وبيورينجين طائر البي وي[2]، اللذين كانا جالسين على الضفة: انتبها، لقد رأينا منذ قليل تمساحاً في الماء».

(1) طائر صغير طويل الذيل، يدعى أبو فصادة، أو هزاز الذيل (م).
(2) Peewee نوع من الطيور الأسترالية (م).

رد عليهما الغواص والنسر قائلين: «ابتعدا إذن، الريح تهب من جهتكما حاملة رائحتيكما إليه، ابتعدا وإلا شم رائحتيكما».

لكنهما لم يسمعا الكلام، وبقيا يراقبان عملية الصيد. ما هي إلا لحظات حتى شم التمساح رائحتيهما، وضرب ذيله ضربة قوية في الماء، أحدثت موجة عالية جداً لدرجة أغرقت كافة الصيادين، حتى ديريري وبيورينجين اللذين كانا على الضفة لم ينجوا، وفوراً صارت ضفة الغدير حمراء، وكذلك جذع الشجرة المقطوع حيث جلس ديريري وبيورينجين، تلطخ المكان بدماء الجميع. وبقي اسمه حتى الآن غوميد[1] وظل لونه أحمر منذ ذلك الحين.

(1) الختم الأحمر (م).

نارادارن الخفاش

أراد نارادران الخفاش، الحصول على العسل. فظل يراقب المنطقة حتى وقع بصره على وارانانا النحلة، فأمسك بها، وعلق بين قدميها الخلفيتين ريشة بيضاء، ثم أطلقها وبدأ يلاحقها علها ترشده إلى مكان كورها. لقد عرف أنه بإمكانه رؤية الريشة البيضاء، وهكذا تبع النحلة إلى حيث الكور. أمر زوجتيه، اللتين تتحدران من قبيلة البيلبر، بأن تتبعاه مع وعاءين من الويري[1] لتحملا العسل فيهما.

حل الليل ولم تصل وارانانا، النحلة، إلى بيتها. فأمسك نارادران بها، وحبسها تحت اللحاء، إلى أن حلّ صباح اليوم التالي فأطلقها وتبعها مجدداً. عند بزوغ الفجر وحيث كانت الرؤية واضحة كفاية بالنسبة لنارادران، أطلق النحلة ثانية ولحق بها إلى عشها، في شجرة غونياني.

(1) الويري : قطعة من لحاء الشجر على شكل قارب كان يستخدمها السكان الأصليون كأطباق للعسل (م).

وضع علامة على الشجرة بحجر كومبو[1]، لكي يستطيع أن يميّزها وعاد ليستعجل زوجتيه اللتين كانتا لا تزالان على مسافة ما خلفه. أراد منهما تسلق الشجرة واستخراج العسل منها. عندما وصلتا إلى حيث الشجرة، قامت إحداهما بتسلقها، ثم نادت على زوجها نارادران تخبره بأن العسل موجود داخل شق عميق في جذع الشجرة.

فطلب منها أن تمدّ يدها داخله وتخرج العسل. وما إن مدّت الزوجة ذراعها داخل الشق، حتى اكتشفت أنها علقت ولم يعد بإمكانها سحبها مجدداً. تسلق نارادران الشجرة لمساعدتها، لكنه وجد أن الطريقة الوحيدة لإخراج ذراعها من الشق هي عن طريق قطعها. قطع نارادران ذراع زوجته قبل أن تلاحظ ما الذي يفعله، وقبل أن تحتج على ذلك. كانت صدمتها كبيرة جداً لدرجة أنها ماتت على الفور.

حمل نارادران جثتها وأمر أختها، زوجته الثانية، أن تتسلق الشجرة وتخرج الذراع، وتحضر له العسل. احتجت الأخت وأخبرته أنه لابدّ من أن النحلات قد نقلن العسل بعيداً الآن.

أجابها: «لا، لم ينقلنه، اذهبي الآن في الحال».

---

(1) حجر حاد كان يستخدم كفأس (م).

لم تترك حجة إلا وقالتها له، لكن من دون فائدة، جلّ ما حصلت عليه أن زادت من حنق نارادران فأخذ يلوّح بسلاحه في وجهها، ثم دفعها لتسلق الشجرة. تمكنت من إدخال ذراعها إلى جانب ذراع أختها المقطوعة، بيد أنها علقت أيضاً ولم تستطع تحريكها. ورأى نارادران الذي كان يراقبها طوال الوقت، ما حصل وتبعها إلى أعلى الشجرة. وعندما وجد أنه لن يتمكن من سحب ذراعها، قام بقطعها كما فعل مع أختها، على الرغم من صراخها واحتجاجها. صرخت صرخة واحدة في اللحظة التي مر بفأسه فوق ذراعها وقطعها، ثم صمتت تماماً.

قال لها: «انزلي، سأستخرج العسل بنفسي».

لكنها لم تجبه، فاكتشف أنها هي أيضاً ماتت. ففزع كثيراً، وأسرع بحمل جثتها إلى أسفل شجرة غونياني، ووضعها إلى جانب جثة أختها، وترك المكان بأقصى سرعة، ناسياً تماماً أمر العسل. في الوقت الذي اقترب من المخيم، ركضت أختا زوجتيه الصغيرتين لملاقاته، معتقدتين أن أختيهما معه، وأنهما قد تعطيانهما رشفة من العسل الذي علمتا بذهابهم لإحضاره. لكنهما فوجئتا بـ نارادران عائداً وحده، وقد تلطخ ذراعاه بالدماء، وعلت وجهه نظرات مخيفة، جعلتهما تخشيان حتى مجرد سؤاله عن مكان أختيهما.

ركضتا وأخبرتا والدتهما بأن نارادران قد عاد وحيداً، وأنه يبدو مخيفاً وغاضباً وقد تلطّخ ذراعاه بالدماء. خرجت الأم التي من قبيلة البيلبر، وسألته: «أين ابنتاي، يا نارادران؟ لقد ذهبتا معك هذا الصباح لإحضار العسل الذي وجدته. وأراك عدت وحيداً، ومن دون العسل. تبدو مخيفاً، كأنك قادم من معركة، وذراعاك ملطختان بالدماء. أخبرني، قلت لك، أين هما ابنتاي؟».

«لا تسأليني أنا يا بيلبر، اسألي وارانانا النحلة، هي وحدها تعرف الحقيقة، نارادران لا يعرف شيئاً».

ولفه صمت لا يمكن لأي سؤال أن يخترقه. تركته على هذه الحال أمام خيمته وقفلت عائدة إلى مسكنها وأخبرت القبيلة أن ابنتيها قد رحلتا، وأن زوجهما نارادران يرفض أن يخبرها أي شيء عنهما. لكنها متأكدة من أنه يعلم مصيرهما، ومتأكدة أيضاً من أن لديه حكاية وراء ذراعيه الملطختين بالدماء.

استمع زعيم القبيلة للأم، وعندما أنهت كلامها وبدأت بالعويل حزناً على ابنتيها، اللتين شعرت أنها لن تراهما مجدداً، قال لها: «يا أم البيلبر، لو حصل لابنتيك أي مكروه، وإن كانت يدا نارادرن مسؤولتان عما حدث لهما فسننتقم لهما في الحال. ما زالت آثاره جديدة، عندما يعود شباب القبيلة، سأطلب منهم

تعقب آثارهم حيث ذهبوا، ومعرفة ما الذي فعله ناردران بأسرع وقت. ثم سنقيم كوروبوري[1]، وإن كان نارادارن هو الآثم فسيعاقب».

أجابت الأم: «كلامك أثلج صدري. هل بإمكانك استعجال الشباب لئلا يهطل المطر أو يثار الغبار فيغطيان الآثار».

وهكذا مضى أفضل شبان القبيلة من المغاوير والمحنكين ذوي العيون الثاقبة، وبعد غياب لم يدم طويلاً، عادوا إلى المخيم حاملين الأخبار عن مصير الأختين.

أقيمت الكوروبوري في تلك الليلة، جلست النسوة في نصف دائرة، وغنين أغنيات رتيبة، وبوقفات منتظمة تفسح بعض الوقت ليقوم بعضهن بالضرب على أداتي البمرنغ ببعضهما بعض، وأخريات بضرب لفافتين من جلد الأبوسوم ببعضها بعض.

أشعلت نيران كبيرة على حواف الأجمة، فأنارت الراقصين، الذين خرجوا من خيمهم يرقصون، وقد طلوا أجسادهم بكل أشكال الزينة، ووضعوا أحزمة الويواه حول خصورهم، معلقين خصلات من الريش في شعورهم، وحاملين بأيديهم صولجانات

(1) رقصة قبائل السود (م).

ملونة. تقدم نارادران الموكب الذي اصطف فيه الرجال رتلاً طويلاً خارج الأجمة نحو فسحة واسعة أمام النسوة. أضاءت النيران أعالي الشجر، وبدت شجيرات بالا القائمة رائعة الجمال، كان المشهد غريباً بحق، حيث رقص الرجال حولهن، وكانت ضربات البمرنغ تعلو أكثر فأكثر وغناء النسوة يعلو أكثر فأكثر، والنيران تضطرم أكثر فأكثر إلى أن ارتفعت ألسنتها الملونة في الهواء. إحدى تلك النيران كانت أكبر من البقية، ونحوها اتجه الراقصون مستدرجين نارادران، وفجأة علا صراخ أم البيلبر من خلال الغناء، وطغى على غناء النسوة. وفي اللحظة التي استدار فيها نارادران ليعود بالراقصين بعيداً عن النار وجد في مواجهته جداراً من الرجال، فأمسكوا به بسرعة، وألقوه في اللهب المتطاير، ليلقى حتفه. وهذا ما كان عليه انتقام البيلبر.

موليانغا نجمة الصباح

بنى موليان النسر لنفسه بيتاً في شجرة ياران، وعاش فيه بعيداً عن قبيلته. كانت تعيش معه زوجته موداي الأبوسوم وحماته، ومعهم كانت تعيش بتيرغا، وهي فتاة من قبيلة باغوو أو السنجاب الطائر. وكانت بتيرغا صديقة موداي زوجة موليان وتربطها قرابة بعيدة بقبيلة موداي.

كان موليان النسر من آكلي اللحوم، وهذا كان السبب وراء عزلته عن باقي السكان السود. ولكي يشبع رغبته هذه بأكل اللحوم، اعتاد أن يحمل حربة كبيرة أكبر أربع مرات من الحربة العادية وعندما يرى أحد السود يصطاد بمفرده، كان ينقض عليه ويقتله ثم يجره إلى بيته في الشجرة. وهناك كانت النسوة تطبخ الفريسة ويأكلون جميعاً، فالنسوة كن مثله أيضاً من آكلات اللحوم.

مرت الأيام وهم على هذه الحال، حتى كثر عدد الأشخاص السود المختفين، فقرر أهلهم أن يبحثوا في أسباب اختفائهم. وهكذا راقبوا آخر شخص اختفى وتبعوه إلى المكان الذي اتضح لهم أنه ذبح فيه، ثم اقتفوا أثر ذابحه حتى وصلوا إلى شجرة الياران حيث بنى موليان بيته.

حاولوا تسلّق الشجرة ولكنهم لم يفلحوا لأنها كانت سامقة جداً ومستقيمة يصعب تسلقها، وبعد محاولات كثيرة يئسوا وقرروا أن يطلبوا مساعدة بايبي نقار الخشب وهو من قبيلة معروفة بقدرتها على التسلق. مباشرة استدعى السود طائرين من نقار الخشب وطلبوا منهما المساعدة، فجاء أحدهما ومعه صديقه موري ويندا من قبيلة الفئران المتسلقة.

وما إن عرف المتسلقان ما يطلبه السود منهما حتى بدآ عملهما على الفور وذهبا لتسلق شجرة الياران. كان اليوم في آخره واستطاعا تسلق نصف المسافة قبل حلول الظلام، وناما هناك. في الصباح بعد أن راقبا موليان خارجاً من بيته، تابعا تسلق الشجرة حتى وصلا إلى البيت، وهناك غافلا النسوة وتحينا الفرصة لدخول البيت.

وعندما دخلا بأمان، سارعا إلى وضع خشبة متقدة بلا لهب في البيت محاذرين ألا تراهن النسوة. ثم تسللا خارجين بهدوء وحكمة. سمعت النسوة صوت طقطقة خلال النهار، كصوت شي يحترق، لكنهن نظرن في الجوار ولم يجدن شيئاً، فظنن أنه ربما وقع بعض العشب في الموقد.

بعد أن وضعا قطعة الخشب المشتعلة في بيت موليان هبط بايبي وموري ويندا وبحثا عن السود وأخبراهم بما فعلا. وعندما سمع السكان السود بأن الخطة هي إحراق بيت موليان، توقعوا أن الشجرة قد تسقط بفعل الحريق فابتعدوا عنها مسافة آمنة، ثم جلسوا يترقبون نهاية موليان بفرح عظيم، شعر بايبي وموري ويندا بالفخر حيث مدح السود قوتهم.

عند الظهيرة وبعد الغذاء عاد موليان إلى بيته، وحالما وصل وضع حربته الكبيرة عند المدخل ودخل واستلقى ليرتاح، فقد كان متعباً بعد مشوار طويل دون أن يحظى بشيء. بعد بضع دقائق سمع صوت حربته تسقط على الأرض فخرج وأعادها إلى مكانها. ولم يكد يستلقي ثانية حتى سمع صوت الحربة تسقط من جديد، قام مرة أخرى وأعادها إلى مكانها، ولكنه لم يكد يصل إلى مكان راحته حتى هبت النار من آخر البيت. صاح

على النسوة الثلاث اللواتي كن يحضرن الطعام فنهضن لمساعدته وأسرعن يحاولن إطفاء الحريق. وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلنه كانت النار تزداد اشتعالاً. فاحترق ذراعا ماليان، وقدما موداي، وكانت بتيرغا أكثرهم تضرراً، وعندما شعروا أنهم عاجزون عن إطفاء الحريق قرروا أن ينجوا بأنفسهم واستداروا ليخرجوا من البيت، لكنهم تأخروا كثيراً فما إن حاولوا الخروج حتى سقط السقف فوقهم واحترقوا جميعهم ولم يبق منهم سوى عظام متفحمة.

كان ذلك كل ما وجده السكان السود من أعدائهم، ولكن الأسطورة تقول إن موليان النسر يعيش الآن في السماء ويدعى موليانغا أو نجمة الصباح وعلى أحد جانبيه نجمة صغيرة هي ذراعه الوحيدة، وعلى الجانب الآخر نجمة أكبر هي موداي الأبوسوم زوجته ورجلها الوحيدة.

غومبل غابون الأمو وبيارغا الصقر وأويان الكروان[1]

كان غومبل غابون طائر الأمو، وزوجتاه بيارغا الصقر وأويان الكروان وولداه يخيمون بعيداً في الأجمة، وكان مصدر الماء الوحيد الذي لديهم هو حفرة مليئة بماء المطر. كانت الزوجتان والطفلان يخيمون في خيمة وغومبل غابون في خيمة أخرى تبعد مسافة قصيرة عنهم. وفي أحد الأيام طلبت الزوجتان من زوجهما أن يعيرهما حجر الديرول أو الرحى لكي تطحنا بعض الحبوب وتصنعا الخبز، لكنه رفض رغم إلحاحهما في السؤال، وهما تعرفان أنه لا يستخدمه فقد رأتا أنه قد انتهى من تحضير الخبز وكان خبزه لا يزال على قطعة من لحاء الشجر على الموقد، فقررتا أن تنتقما منه: «سوف نصنع بعض القِرب من جلد الأبوسوم ونملأها بالماء. ثم سوف نتحين فرصة غياب غومبل غابون ونفرغ حفرة الماء، ونأخذ الأطفال ونهرب! وعندما يعود سوف يجد أن زوجتيه وطفليه

---

(1) طائرٌ مائيّ يُسَمّى الكَرَوان وهو من رتبة طوال الساق ويتبع فصيلة صغيرة من الطيور تعرف بالفصيلة الكروانية وله صوت جميل (م).

قد رحلوا وحفرة الماء قد فرغت، عندها سوف يندم لأنه لم يعرنا الديرول».

ولم تتردد الزوجتان في تنفيذ الخطة، فقتلتا بعض حيوانات الأبوسوم، ثم سلختا جلودها ونزعتا الشعر عن الجلود وخزنتاها لتصبح خيوطاً لصنع الفساتين، نظفتا الجلود من اللحم، وخاطتاها وتركتا العنق مفتوحاً. وعندما فرغتا نفختا بداخلها وملئتاها بالهواء، ثم ربطتاها وتركتاها بضعة أيام لكي تجف. وعندما جفت القرب وأصبحت جاهزة، ملأتاها بالماء حتى فرغت الحفرة ثم رحلتا باتجاه النهر.

بعد سفر طويل، وصلت الزوجتان والطفلان أخيراً إلى النهر، وشاهدوا على الضفة المقابلة اثنين من السود. وعندما رأى الأسودين الزوجتين والطفلين سبحا إليهم وسألوهم من أين جاءوا وإلى أين هم ذاهبون.

«نحن هاربون من زوجنا غومبل غابون، الذي رفض أن يعيرنا حجر الديرول لكي نطحن الحبوب، ولهذا هربنا لئلا نموت من الجوع نحن وأطفالنا، لأننا لا نستطيع أن نعيش على اللحم وحده. ولكننا لا نعرف إلى أين نذهب كل ما نعرفه أننا يجب أن نبتعد كثيراً كي لا يجدنا غومبل غابون ويقتلنا».

قال الأسودان إنهما يريدان زوجتين، وعرضا عليهما أن يتزوجا منهما وسوف يساعدانهما في العناية بالطفلين فوافقتا. ثم حمل الأسودان الطفلين وعبرا بهما النهر إلى الضفة الأخرى، ثم عادا وحملا المرأتين اللتين لا تجيدان السباحة فقد جاءتا من آخر البلدة حيث لا يوجد نهر أو غدير.

عاد غومبل غابون من الصيد، وعندما لم ير زوجتيه بدأ يناديهما بأعلى صوت، ولكن دون جواب، فذهب إلى خيمتهما ولكنه لم يجد أحداً، ذهب إلى حفرة الماء فوجدها فارغة، ثم بحث عن آثار أقدامهم فاكتشف أن زوجتيه وطفليه قد ذهبوا باتجاه النهر. غضب غومبل غابون غضباً شديداً وأقسم أنه سوف يقتلهم جميعاً عندما يجدهم. حمل حرابه وتبع أثرهم حتى وصل إلى النهر.

وعلى الضفة الأخرى للنهر رأى مخيماً فيه أسودان غريبان وزوجتاه وطفلاه.

أخذ يناديهم لكي يساعدوه على عبور النهر، فهو أيضاً لا يستطيع السباحة، لكنه ظل ينادي حتى غربت الشمس وحل الظلام ولم يجبه أحد.

بات ليلته هناك، وعندما صحا في الصباح نظر إلى المخيم على الضفة المقابلة فوجده مهجوراً والنار تشتعل فيه، فحتى لو استطاع أن يعبر النهر فلن يستطيع أن يجد أثر أقدام الأسودين أو زوجتيه. وهكذا ذهبت زوجتاه وطفلاه إلى الأبد ولم يسمع عنهم شيئاً منذ ذلك اليوم.

موريغو البوم وباهلو القمر

كان موريغو البوم يخيم وحيداً لفترة طويلة من الزمن. ولأنه كان وحيداً كان قد صنع عدداً كبيراً من البمرنغ، والنولا-نولا (الهراوة) والحراب، والحصر من جلد الأبوسوم. وقد أتقن نحت الأسلحة مستخدماً أنياب الأبوسوم، ورسم على الحصر نقوشاً زاهية وملونة، وخاطها بخيوط متينة من عصب الأبوسوم وإبرة صنعها من عظمة صغيرة من عظام ساق الأمو. وكلما نظر موريغو إلى أعماله شعر بالفخر.

وذات ليلة جاء باهلو القمر إلى خيمة موريغو وطلب منه: «أعرني سجادة من حصر الأبوسوم».

«لا. لن أعير شيئاً من الحصر».

«إذاً أعطني واحدة».

«لا، لن أعطي شيئاً من حصري».

نظر باهلو حول الخيمة فرأى الأسلحة المنحوتة بإتقان فقال: «إذن، أعطني بعضاً من أسلحتك».

«لا، لن أعطي ما صنعته بنفسي لشخص آخر».

مرة أخرى ألح باهلو: «هذه الليلة باردة، أعرني حصيرة».

أجاب موريغو: «قلت لك لن أعيرك حصيرتي».

لم يقل باهلو شيئاً، بل مضى إلى سبيله، قطع بعض اللحاء وصنع لنفسه ملاذاً وبعد أن انتهى وجلس في ملاذه بأمان، هطل المطر مدراراً، ولم يتوقف وابل المطر حتى أغرق كامل البلدة. غرق موريغو وطفت أسلحته وانجرفت بعيداً وتعفّنت حصره بالماء.

أويان الكروان

ذات يوم قالت بيارغا الصقر لولدها أويـان الكروان: «أويان! خذ حرابك واخرج لاصطياد الأمو، فأنا وباقي النسوة جائعات. أنت رجل فاذهب واصطد علك تحضر لنا ما نأكله. يجب ألا تبقى في المخيم كالمرأة العجوز، بل أن تخرج للصيد كباقي الرجال وإلا فسوف تسخر منك النسوة».

أخذ أويان حرابه وذهب للصيد، وبالرغم من أنه ذهب بعيداً إلا أنه لم يستطع صيد الأمو، فلم يجرؤ على العودة إلى المخيم ليواجه سخرية النسوة. فمن المحتم أنهن سوف يسخرن منه، كما أن أمه تصبح شديدة الغضب عندما تجوع. ففكر أنه لن يعود خالي اليدين بل من الأفضل أن يقتطع بعض اللحم من ساقه، وهكذا جرح ساقه بحجر الكومبو وصرخ من الألم: «ياكي! ياكي!»، ولكن تابع جرح ساقه قائلاً لنفسه: «ألم ألسنة النسوة سوف يكون أكبر، والجرح الذي سيخلفنه حتماً سيكون أعمق، إذا ما عدت إليهن من دون طعام».

و ظل يصرخ: «ياكي، ياكي» مع كل ضربة، وأخيراً استطاع أن يقتطع بعض اللحم وعاد به إلى المخيم.

وحين أصبح على مقربة من المخيم صاحت أمه: «ماذا أحضرت لنا أويان؟ نحن نتضور جوعاً ونتوق إلى اللحم، فلتسرع».

وصل حيث كانت أمه تنتظر ووضع اللحم عند قدميها قائلاً: «رغم أني ذهبت بعيداً لكني لم أرَ إلاّ القليل، لكني أحضرت ما يكفي الجميع لهذه الليلة وغداً سوف أذهب للصيد مجدداً».

طبخت النسوة اللحم وتناولنه بنهم، ولكنهن بعد الطعام شعرن بالمرض، فاعتقدن أن السبب هو أنهن كن جائعات وأكلن بسرعة ونهم. وفي اليوم التالي حثت النسوة أويان لكي يخرج مجدداً ويحضر لهن مزيداً من اللحم، ومرة أخرى خرج أويان وعاد ببعض من لحمه، ومرة أخرى تناولت النسوة اللحم بنهم وشعرن بالمرض.

ثم انتبهت بيارغا إلى أن اللحم الذي يحضره أويان مختلف عن لحم الأمو، فسألته أي نوع من اللحم يحضر، فأجابها أويان: «ماذا سيكون إن لم يكن لحم الأمو؟».

بيد أن جوابه لم يقنعها، فطلبت من امرأتين تعيشان معها: «أنتما، سوف تلحقان أويان غداً وتراقبان كيف يحصل على اللحم».

وفي اليوم التالي خرج أويان للصيد فتبعته المرأتان على مسافة بعيدة حتى لا يتنبه لوجودهما، وسرعان ما سمعتاه يبكي متألماً: «ياكي، ياكي، ياكي، نيرو جي، جي». وعندما اقتربتا شاهدتاه وهو يقطع اللحم من جسده. وقبل أن يكتشف أنهما تراقبانه عادتا إلى العجوز وأخبرتاها بما رأتا.

وبعد حين عاد أويان يحمل اللحم كالعادة، ووضعه عند قدمي أمه وذهب بعيداً لكي يرتاح متظاهراً بأنه متعب من المطاردة. تبعته أمه بسرعة فلم يتح له الوقت ليغطي ساقه المجدوعة، فأدركت أن قصة المرأتين كانت صحيحة، فغضبت الأم لأنه استطاع أن يخدعها ونادت المرأتين اللتين ركضتا إليها.

قالت الأم: «أنتما محقتان، إنه أكثر كسلاً من أن يصطاد الأمو، فقد قطع اللحم من أطرافه، غير آبه بأننا عندما نأكل مثل هذا اللحم فسوف نمرض جميعاً، دعونا نضربه ذاك الذي خدعنا هذه الخديعة».

بدأت النسوة الثلاث يبرحن أويان المسكين ضرباً، غير آبهات ببكائه وتفجعه من الألم وخاصة عندما تنزل الضربات على ساقيه النازفتين.

وبعد أن شفت النسوة غليلهن من ضرب أويان وعقابه، قالت بيارغا: «أنت يا أويان سوف تبقى ساقاك إلى الأبد بلا لحم، وحمراء اللون. حمراء وطويلة وبلا لحم».

قالت هذا وتركته ومضت ومعها المرأتان.

زحف أويان وتوارى عن الأنظار، ولم تره أمه البتة بعد ذلك اليوم. ولكن ليلة بعد أخرى كان يسمع صوت نواحه: «بو يو غواي غواي، بو يو غواي غواي» وكانت كلماته تعني: «مسكينتان يا ساقيّ الحمراوين، مسكينتان يا ساقيّ الحمراوين».

وبالرغم من أن أويان الرجل لم يظهر مجدداً ولم يره أحد، لكن طائراً له ساقان طويلتان وحمراوان كان يظهر بين الحين والآخر، وصوت بكاء ظل يسمع كل ليلة تماماً كما كان أويان يبكي: «بو يو غواي غواي. بو يو غواي غواي» ومنذ ذلك اليوم حمل هذا الطائر اسم أويان.

دينوان الأمو ووان الغرابان

كان دينوان يخيم في العراء مع زوجتيه وان، وعندما شاهدوا الغيوم تتجمع في السماء، توقعوا أن يهطل المطر، فصنعوا من لحاء الشجر سقيفة. وكما توقعوا بدأ المطر ينهمر فلاذوا في الخيمة التي صنعوها.

غافل دينوان زوجتيه وضرب الخيمة من أحد الجوانب فسقطت، ثم أمر الزوجتين أن تخرجا لإصلاحها. ما إن دخلت الزوجتان حتى ضرب الخيمة من الجهة الأخرى وكان عليهما أن تخرجا مجدداً.

ظل دينوان يكرر لعبته، حتى شكّت الزوجتان في الأمر واتفقتا على أن تبقى واحدة لتراقبه، وبالفعل رأته الزوجة التي كانت تراقبه يضحك في سرّه ثم يذهب ويضرب الخيمة من جديد، ويخفي ضحكته ساخراً من الموقف ففي حين تخرج الزوجتان تحت البرد والمطر وقد أصبحتا مبللتين، يجلس هو مرتاحاً جافاً

يتناول الطعام. أخبرت الزوجة التي رأته الزوجة الأخرى وقررتا أن تلقّناه درساً. وهكذا دخلت الزوجتان تحملان قطعاً من لحاء الشجر مليئة بالفحم المتقد، ومباشرة اقتربتا ورمت الفحم على دينوان الذي كان لا يزال مستلقياً يضحك.

قالت الزوجتان: «الآن، سوف تشعر بالحر بقدر ما شعرنا نحن بالبرد».

ففز دينوان من الألم وقد احترق جسمه من الفحم، وصرخ باكياً ثم ركض خارجاً إلى المطر، وهكذا جلست الزوجتان في الداخل تقهقهان بسخرية عليه.

غولاوليل طائر الحمام ذو القبرة

اعتاد غولاوليل الشاب أن يذهب للصيد كل يوم، وكل يوم كانت أمه وأخواته ينتظرن أن يجلب لهن الكنغر أو الأمو، لكنه كان يعود خالي الوفاض. وكن كلّما عاد يسألنه عما فعله في الأجمة طوال اليوم، إذ من الواضح أنه لا يصطاد شيئاً، يجيب مصراً بأنه كان يصطاد.

قالت النسوة: «إذن لماذا لا تجلب لنا شيئاً إلى البيت؟».

أجاب: «لأنني لا أستطيع أن ألحق بالطرائد وأقتلها، لابدّ من أنكم تسمعون صراخي عندما أجد كنغراً أو أمو، أليس كذلك؟».

«نعم، كل يوم نسمعك تصيح عندما تجد شيئاً، وكل يوم نجهز الموقد ونتوقع أن تحضر لنا بعض الغنائم التي تطاردها، ولكنك لا تحضر شيئاً».

قال غولاوليل: «غداً، لن يخيب ظنكم، سوف أحضر لكم كنغراً».

وكان غولاوليل بدل أن يصطاد يقضي وقته في جمع أغصان الصمغ، ويصنع منها مجسماً رائعاً للكنغر: ذيل، أذنان، وكل شيء تماماً كأنه كنغر حقيقي. وفي اليوم التالي حمل مجسّم الكنغر الذي صنعه ومشى باتجاه المخيم. وحين رأته أمه وأخواته ورأين أنه يحمل كنغراً كما وعدهن، قلن لأنفسهن: «آها!، لقد صدق غولاوليل ووفى بوعده وها هو قد أحضر لنا الكنغر، والآن لنجمع الحطب ونجهز الموقد فالليلة سوف نأكل اللحم».

وحين أصبح على مسافة قريبة من المخيم وضع غولاوليل مجسم الكنغر وجاء من دونه. فصاحت أمه التي كانت تراقبه من بعيد: «أين الكنغر الذي أحضرته معك؟».

«أوه، إنه هناك». وأشار بيده إلى حيث ترك المجسم.

ركضت الأخوات ليحضرن الكنغر، ولكنهن عدن إلى غولاوليل يسألنه: «أين هو؟ لم نجد شيئاً».

«هناك» وأشار ثانية إلى المكان.

«ولكن ليس هناك سوى كومة من أغصان الصمغ».

«حسناً، وهل قلت إنه شيء آخر؟ ألم أقل إنه من أغصان الصمغ».

«لا لم تقل، بل قلت إنه كنغر».

«نعم إنه كنغر. كنغر جميل أنا صنعته بنفسي».

وابتسم مفتخراً بالمجسم المتقن الذي صنعه.

لكن أمه وأخواته لم تبتسمن له، بل نظرن إليه بازدراء وبدأن يضربنه لأنه خدعهن. ثم حذرنه أنه من الآن فصاعداً لن يخرج وحيداً لأنه يضيّع وقته في اللعب بدل أن يصطاد شيئاً وهن ينتظرنه ويتضوّرن جوعاً، بل سوف يصحبنه ليراقبنه.

ولهذا أصبح غولاوليل طائر الحمام ذو القبرة يخرج في أسراب للبحث عن الطعام ولا يخرج البتة وحيداً.

غونير الطبيبة

كانت غونير العجوز طبيبة ذكية جداً. وكانت تعيش مع ولدها غونير وزوجتيه غودا السحلية الحمراء، وأختها الصغيرة بيريون السحلية المرقطة. وذات يوم بدر من الزوجتين ما أغضب زوجهما فضربهما بقسوة. بعد أن ضربهما انزوت الزوجتان وتشاورتا ثم قررتا أن حياتهما أصبحت لا تطاق. ولكن لم يكن أمامهما خيار آخر لتغيير أي شيء إلا قتل زوجهما، لذلك قررتا أن تقتلا الزوج ولكن السؤال هو كيف ستفعلان ذلك؟ لابدّ من أن تلجآ إلى الحيلة.

وبعد تفكير طويل دبّرتا خطة محكمة لقتل الزوج. فحفرتا حفرة كبيرة في الرمل قرب الغدير وملأتاها بالماء ثم غطيتاها بالأغصان والأوراق والأعشاب.

قالت الزوجتان بعد أن انتهيتا من الحفرة: «الآن سوف نذهب، ونخبر زوجنا بأننا وجدنا عش بندكوت (نوع من الفئران)».

وهكذا عادتا إلى المخيم، وأخبرتا غونير بأنهما شاهدتا عش بندكوت كبير قرب الغدير، وأنه إذا ما تسلل إلى هناك سوف يستطيع مفاجأتهم واصطياد الكثير منهم.

وبسرعة ذهب غونير، تسلل بهدوء واقترب من العش ثم قفز بقوة فوقه. ولم يدرك أنه وقع في فخ إلا حين شعر بالأغصان التي غطست معه في الماء، وقد فات الأوان لكي ينقذ نفسه، إذ كان يغرق ولم يستطع الهرب. كانت زوجتاه تراقبان نجاح الخدعة من بعيد.

وبعد أن تأكدتا من أنهما تخلصتا تماماً من زوجهما الذي تكرهانه، عادتا إلى المخيم. لم يمض وقت حتى انتبهت غونير الأم لغياب ولدها، فسألت الزوجتين ولكنها لم تحصل على أي معلومات. مر يومان أو ثلاثة ولم يعد ولدها، فأدركت الأم أن مكروهاً أصابه ذلك أنه لم يخبرها بأنه سيغيب. قررت الأم أن تقتفي أثره، فبدأت جولتها متتبعة أثره من المكان التي رأته فيه آخر مرة يغادر المخيم. تبعت الأثر حتى وصلت إلى عش بندكوت المزعوم، وهناك اختفى الأثر، ولم تجد أي علامة تدل على أنه عكف راجعاً من ذلك المكان.

تحسست الماء داخل الحفرة بمغزلها وسرعان ما شعرت بأن هناك شيئاً كبيراً في الحفرة. قطعت الأم هراوة على شكل شوكة وحاولت إخراج الجسد من الحفرة حيث أيقنت أنه لابدّ من أن يكون ولدها. لم يكن سهلاً إخراج الجسد من الحفرة، وكسرت كثيراً من العصي وهي تحاول ولكن دون جدوى. أخيراً استطاعت قطع عصاً كبيرة من شجرة الأكاسيا ونجحت بإخراجه. وعندما أخرجت الجسد كان ظنها في مكانه وكان ولدها. جرّت الجسد ووضعته على سرير من النمل، وجلست تراقب بتركيز لترى ما إذا كان سيتأثر الجسد بوخز النمل ويعود للحياة. وما هي إلا لحظات حتى تحقق أمل الأم واستطاعت الانقباضات الشديدة للعضلات أن تعيد الوعي لولدها. وحالما استعاد وعيه قصّ عليها كيف أن زوجتيه خدعتاه.

غضبت الأم غضباً شديداً. «لن يحظيا بك كزوج بعد الآن. سوف تعيش متخفياً في خيمتي. وعندما نصل إلى مسافة قريبة من المخيم سوف أخفيك في هذه الحقيبة الكبيرة، وأحملك إلى الخيمة، وعندما ترغب بالخروج للصيد سوف أحملك بالطريقة نفسها إلى خارج المخيم إلى أن نبتعد عن الأنظار ثم تخرج وتصطاد كما في الماضي».

وقد تدبّرا أمر أن يبقيا وجوده سراً لبعض الوقت، ولم تعرف الزوجتان أن زوجهما حي ويعيش في خيمة أمه. لكن يوماً بعد يوم كانت غونير الأم تعود من الصيد محمّلة بالكثير من الطرائد، مما جعل الشك يتسرب إلى الزوجتين، وقالتا، من المؤكد أن هناك من يساعدها فمن المستحيل أن تستطيع عجوز بعمرها أن تحصل على كل هذا الصيد وحدها. لابدّ من أن هناك سراً وراءها وقررتا أن تكتشفانه.

قالت إحداهما للأخرى: «انظري، خرجت من المخيم وحدها، وهي عجوز ومع ذلك عادت ومعها أكثر مما استطعنا أن نجلب معاً ونحن ما زلنا شابتين. لقد أحضرت اليوم الأبوسوم وبيغابيلا، العسل واليام والبرقوق والكثير من الأشياء، في حين لم نحضر نحن سوى القليل رغم أننا ذهبنا بعيداً، سوف نراقبها».

وعندما خرجت العجوز غونير للصيد وهي تحمل في حقيبتها ولدها كانت الزوجتان تراقبانها.

قالت إحداهما: «انظري، كم هي بطيئة الخطى، فهي لا تستطيع تسلّق الأشجار لاصطياد الأبوسوم، إنها عجوز ضعيفة، انظري كيف تمشي مترنحة».

تبعتاها بحذر وعندما ابتعدت عن المخيم، وضعت حقيبتها ولدهشتهما خرج غونير الزوج من الحقيبة.

قالتا: «آها، هذا هو سرها إذن. لابدّ من أنها وجدته، ولأنها طبيبة ماهرة فقد استطاعت أن تعيده للحياة. يجب أن ننتظر حتى تغادر ونذهب إليه ونرجوه أن يخبرنا أين كان كل تلك المدة، ونتظاهر بالفرح لرؤيته من جديد، وإلاّ سوف يقتلنا بعد أن كشف أمرنا».

وهكذا انتظرتا حتى أصبح غونير وحده ثم ركضتا إليه وقالتا: «لماذا يا غونير، يا زوجنا، لماذا تركتنا؟ أين كنت كل ذلك الوقت، تاركاً زوجتيك حزينتين لفراقك؟ بطيئاً وثقيلاً يمر الوقت في غيابك، ونحن زوجتاك كنا حزينتين جداً لأنك لم تأت إلى خيمتنا».

كان صعباً كثيراً على غونير أن يصدق أن حزن زوجتيه حقيقي فقد أرشدتاه بنفسيهما إلى عش بندكوت الذي لم يكن سوى فخ ولولا أمه لكان قبره الآن ولكنه اوهمهما بأنه صدّقهما.

وذهب الجميع للصيد، وعندما قتلوا ما يكفي من الطرائد عادوا معاً إلى المخيم، وحين اقتربوا من المخيم وجدوا غونير

الأم تنتظر وعندما رأتهم قادمين صاحت: «أترغب بأن تعاود زوجتاك خداعك؟ وهل أنقذتك من الموت لكي تقتل ثانية؟ لقد صفحت عنهما ولكن سوف أذبحهما إذا حاولتا ثانية قتلك يا ولدي. كثيرة هي مكائد النسوة، وقد لا أستطيع أن أنقذك في المرة القادمة. دعهما تعيشان إذا كنت تريد ذلك يا ولدي ولكن ليسّ معك. لقد حاولتا استدراجك إلى حتفك، ولذلك فأنت لم تعد زوجهما، أنت ملكي وحدي، ألست أنا من أعادك إلى الحياة؟».

ولكن غونير أجاب: «في الحقيقة يا أمي، أنت أنقذت حياتي، وزوجتاي فرحتا بذلك كثيراً، وهما أيضاً خدعتا مثلي عندما اعتقدتا أن الحفرة هي عش بندكوت، لا شك أن هناك عدواً وراء هذا العمل، وسوف أكشفه قريباً. انظري يا أمي نظرات الحب في عينيهما وكلمات الحب على شفتيهما تثبت صدقهما؟ سوف نعود لسابق عهدنا، ونعيش في هدوء وسلام».

وبمهارة استطاع غونير أن يخدع زوجتيه ويقنعهما أنه وثق بهما وصدقهما، إلا أنه في حقيقة الأمر كان يخطط للانتقام. ولم تمض إلا أيام قليلة حتى أحكم خطته. فقطع هراوتين كبيرتين وجعل رأسيهما مدببين كالحربة، ثم ثبتهما في الغدير كدعامتين

والرأس المدبب إلى الأعلى وغمرهما بالماء لكي تختفيا عن الأنظار، ثم وضع زندين من الخشب بمحاذاة الدعامتين على الضفة، وبعد أن انتهى دعا زوجتيه للاستحمام في الغدير وعندما وصلوا قال لهما: «أتريان هذين الزندين الخشبيين، اقفزا كل واحدة من فوق زند وسوف نرى من منكما تغوص إلى مسافة أعمق. سوف أقفز أنا أولاً لكي أراكما وأنتما تقفزان». وقفز غونير في الماء بحذر متجنباً الدعامتين ثم صاح بزوجتيه: «هيا! اقفزا، فالماء هنا نظيف ورائق».

ركضت الزوجتان ثم قفزتا كل واحدة من فوق زند الخشب الذي حدده لها. كان غونير قد قدّر المسافة جيداً لكي تسقط كل منهما على الدعامة المثبتة في الماء وتعلق بها، وهكذا تبقيان كلاهما تحت الماء وتموتان.

قال غونير: «حسناً ألم أنتقم الآن؟ لن تستطيع زوجتاي خداعي من جديد». ثم تركهما هناك وعاد إلى المخيم.

عندما رأته يعود وحيداً، سألته الأم غونير عن زوجتيه فأجاب: «لقد تركتاني وذهبتا لإحضار أقراص العسل».

وتوالت الأيام ولم تعد الزوجتان فأيقنت الأم أن ولدها يعرف أكثر مما قاله به فقررت ألا تسأله مجدداً وتحيّنت فرصة غيابه عن المخيم لتبحث عن الزوجتين بنفسها، وهكذا تقفّت أثرهما حتى وصلت إلى الغدير، وبما أنها لم تجد ما يدل على أنهما عادتا، فقد بدأت تبحث عنهما في الغدير.

وجدت الأم الزوجتين جثتين هامدتين معلقتين في الدعامتين واستطاعت أن تخرجهما من الماء. غضبت الأم كثيراً لأن ولدها خدعها ولم يخبرها بفعلته، فقررت أن تحاول إعادة الحياة للزوجتين. مسحت الجسدين بمرهم من الدواء، وغطت الجراح التي خلفتها الدعامتين ثم سحبت الجسدين إلى عش النمل وجلست تراقب النمل وهو يزحف عليهما ويعضهما. لم تنتظر طويلاً حتى انتفض الجسدان وعادت لهما الحياة.

وحالما استعادتا وعيهما أخذت غونير الأم الزوجتين إلى المخيم وهناك قالت لولدها: «الآن وقد استخدمت خبرتي ومعرفتي وأعدتك للحياة، ثم استخدمتها ثانية وأعدت زوجتيك للحياة، فأنتم جميعاً ملكي ويجب أن تفعلوا ما أريد، وما أريده هو أن تعيشوا بسلام وأن تكفّوا عن خداعي وعن خداع بعضكم بعضاً».

وهكذا عاشوا جميعاً معاً بسعادة وهدوء ردحاً من الزمن، وعندما ماتت الأم الطبيبة سقطت من السماء نجمة جميلة متلألئة وتبعها هدير يشبه الرعد. ولما رأت القبائل المجاورة هذا قالت: «هذه الإشارة تعني أن طبيباً عظمياً قد مات». وعندما ماتت الزوجتان صعدت روحاهما إلى السماء وتحولتا إلى نجمة حيث تعرف الآن بنجمة غوايبيلا، أو النجمة الحمراء، وكما تقول الأسطورة فإن الضوء الأحمر الذي يشع من النجمة هو العلامة التي تركتها الدعامتان في الجسدين إذ لم يفلح أي شيء في إزالتها.

ديريري طائر الذعرة[1] وقوس قزح

كانت ديريري أرملة تعيش في خيمة منعزلة مع بناتها الأربع. وفي يوم من الأيام، جاء بيبي وخيّم على مقربة منها. فزعت ديريري منه كثيراً لدرجة أنها لم تستطع النوم فظلت ساهرة طوال الليل لتراقب خيمته، وإذا ما سمعت أي صوت صرخت بأعلى صوت: «ديريري، واياه، واياه، ديريري» وظلت كذلك يوماً بعد يوم، وكانت في بعض الليالي لا تكف عن الصراخ طوال الليل.

ذات صباح جاء بيبي إلى خيمتها ليسألها لماذا تصرخ هكذا في الليل، فأجابته بأنها ظنّت أنها رأت أحدهم في الجوار فخافت لأنها وحيدة مع بناتها الصغيرات.

طمأنها بيبي وقال لها إنه لا يجدر بها أن تخاف وأطفالها كلهم حولها، لكن توالت الليالي وهي ساهرة تصيح: «واياه، واياه، ديريري، ديريري».

---

(1) طائر صغير طويل الذيل (م).

في النهاية قال بيبي: «إذا كنت خائفة إلى هذه الدرجة، فلماذا لا تتزوجينني وتسكنين في خيمتي، وسوف أعتني بك». ولكن ديريري لم تكن راغبة في الزواج. وهكذا ظل صراخها الكئيب يدوي في الليل: «واياه، واياه، ديريري، ديريري». وظل بيبي يلح في طلب الزواج منها ومشاركته خيمته، ولكنها كانت ترفض على الدوام. وكلما رفضته أكثر زاد إصراره على الزواج بها، وبدأ يفكر بطريقة لإغرائها علّه يقنعها بتغيير رأيها والموافقة على الزواج به.

وصل بيبي إلى خطة وفكر أن يفاجئها بها ويحصل على موافقتها، فبدأ يعمل بجد وصنع قوساً جميلاً وملوناً بألوان مختلفة، ودعاه بقوس قزح. وعندما انتهى من صنعه وضعه عبر الفضاء، ليصل بين جهتي الأرض، وعندما ثبت القوس في السماء وبدأت ألوانه الجميلة تتلألأ وكأنه طريق من الأرض إلى النجوم، ذهب بيبي إلى خيمته وجلس ينتظر. نظرت ديريري إلى السماء ورأت القوس الرائع، فاعتقدت أنه لابدّ من أن شيئاً مخيفاً سوف يحدث، فملأها الرعب وبدأت تصرخ: «واياه، وياه». ومن دون أن تفكر ومدفوعة بالخوف جمعت صغارها وهربت إلى خيمة بيبي تنشد الحماية.

شعر بيبي بالفخر وأخبرها بأنه هو من صنع القوس، فقط ليثبت لها كم ستعيش بأمان إذا ما تزوجت منه، ولكن إذا أصرت على رفضه، فإنه سوف يصنع أشياء مخيفة بدل هذا الطريق الجميل والآمن الذي يصل الأرض بالسماء، سوف يصنع أشياء خطرة تفجر الأرض.

ظل بيبي يتلاعب بمشاعرها المختلطة بين الخوف من قوته والإعجاب بمهارته حتى وافقت على الزواج به. تزوجت ديريري من بيبي وعاشا معاً وبعد أن ماتا، تحولت إلى طائر الذّعرة أو هزاز الذيل، وظل صوتها يدوي في ليالي الصيف الهادئة وهي تنتحب بكآبة: «ديريري، واياه، ديريري، واياه».

أما بيبي فقد تحوّل إلى نقار الخشب، أو متسلق الأشجار، والذي ظل دائماً يتسلق الأشجار كأنه يحاول أن يبني طريقاً آخر غير قوس قزح الذي كان قد صنعه ليحظى بزوجته.

موريغو البوم ومونينغوغاغول طائر البعوض

كان هناك شيخ يعيش مع زوجتيه الأختين مونينغوغاغول وولديه. وكان يمضي كل وقته في صنع البمرنغ حتى ملأ أربعة أعشاش بالسلاح. أما الولدان فاعتادا الخروج لصيد الأبوسوم والإغوانا، ولكنهما كانا يطبخان ما يصطادانه في الأجمة ويأكلانه من دون أن يحضرا شيئاً منه إلى والديهما. وذات يوم طلب الأب من ولديه أن يحضرا له بعض الشحم لكي يدهن به البمرنغ، فأحضر الصبيان شحم الإغوانا بعد أن أكلا اللحم.

غضب الشيخ من جشع ولديه ولكنه لم يفه بكلمة، بالرغم من أنه قرّر أن يعاقبهما وفكر بينه وبين نفسه: «عندما كانا صغيرين وعاجزين عن الصيد، كنت أصطاد لهما وأطعمهما، والآن بعد أن كبرا وباتا قادرين على الصيد وصرت هرماً لا حول لي ولا قوة، فقد أهملاني كلياً». وكلما فكر في المعاملة القاسية التي يتلقاها من ولديه ازداد غضبه، فشحّم كل البمرنغ التي صنعها ولما انتهى قال لولديه: «خذا هذه البمرنغ إلى

السهل وجرباها لتتأكد من أنني قد صنعتها بشكل جيد، ثم عودا وأخبراني بالنتيجة وسوف أنتظركما هنا».

أخذ الفتيان البمرنغ وذهبا إلى السهل. رميا البمرنغ واحدة تلو الأخرى ولكن لدهشتهما ولا واحدة منها كانت تعود إلى الأرض، بل تنطلق إلى الأعلى وتختفي عن الأنظار. وبعد أن رميا كل البمرنغ التي في حوزتهما وكانت كلها تنطلق في الفضاء وتختفي ولا تعود بالطريقة نفسها، وكانا على وشك العودة إلى البيت حين هبت زوبعة ضخمة واتجهت نحوهما فملأهما الهلع وصاحا: «ويراويلبيرو» (إنه شرير على شكل زوبعة) لأنهما عرفا أن هناك شريراً في الزوبعة.

ركضا إلى أقرب شجرة وتمسكا بها، غير أن الزوبعة أخذت شكل يد والتفت حول الشجرة واقتلعتها، فركضا إلى شجرة أخرى فتبعتهما الزوبعة واقتلعتها أيضاً وظلا يركضان من شجرة إلى أخرى والزوبعة تتبعهما وتقتلع الأشجار. أخيراً ركضا إلى شجرتي سنديان وتشبثا بهما لكن الزوبعة تبعتهما جارفة كل ما يأتي في طريقها حتى وصلت إلى شجرتي السنديان اللتين التصق بهما الصبيان، واقتلعتهما من جذورهما وقلبتهما رافعة الجذور باتجاه الأعلى وجوفتهما وبهذا فوتت على الصبيان فرصة

الهرب وظلت ترفع الشجرة حتى وصلت إلى السماء وهناك وضعت الشجرتين والصبيان لا يزالان يلتصقان بهما. وهناك بقيا إلى جانب درب التبانة وهما معروفان اليوم باسم ويراويلبير وقد نثرت البمرنغ على طول درب التبانة حيث جمعتها الزوبعة في طريقها إلى السماء.

وبعد أن وضعت الجميع في السماء، عادت إلى الأرض مستعيدة شكلها الطبيعي أي الشيخ الذي كان ينتقم من ولديه لأنهما أهملا والدهما.

مر الوقت ولم يعد الولدان إلى البيت فقلقت الوالدتان اللتان لم تعرفا ماذا حل بولديهما، ووجدتا تصرف الأب غريباً جداً إذ أنه لم يبدو عليه أنه استغرب غياب ولديه ولم يسأل عنهما، وهنا شكت الزوجتان بأن زوجهما يعرف أكثر مما قال ولا يهتم لغياب ولديه إذ يجلس هادئ البال مبتسماً في حين تتساءل الوالدتان ماذا حلّ بولديهما. إضافة إلى أنه تركهما تذهبان للبحث عن الأولاد وحدهما دون أن يرافقهما. ذهبت المرأتان إلى السهل للبحث عن ولديهما، فوجدتا آثار زوبعة حيث الأشجار مقتلعة من جذورها، ومتناثرة هنا وهناك. اقتفت المرأتان آثار ولديهما من شجرة إلى أخرى حتى وصلتا إلى مكان شجرتي السنديان

ووجدتا آثار ولديهما حول المكان ولكن الشجرتين وولديهما كانوا قد اختفوا.

أدركت الوالدتان بأن الزوبعة قد اقتلعت الشجرتين مع الولدين وحملتهما إلى مكان ما، فعادتا إلى البيت حزينتين. وعندما جاء الليل سمعتا صراخاً وسرعان ما عرفتا الصوت، لقد كان صوت ولديهما، بالرغم من أنه كان يأتي من السماء. وعندما جاء الصوت ثانية نظرتا إلى السماء إلى مصدره وهناك شاهدتا شجرتي السنديان وبجانبهما ولديهما، فأدركتا أنهما لن تريان ولديهما على الأرض مجدداً فحزنتا حزناً شديداً وغضبتا من زوجيهما فقد أدركتا أنه كان الشرير الذي في الزوبعة وأنه هو من عاقب الولدين. ثم قررتا الثأر من الزوج لأنه حرمهما من ولديهما.

وفي اليوم التالي خرجت الوالدتان وجمعتا الكثير من صمغ الصنوبر وعادتا به إلى المخيم. كان الشيخ يعاني من صداع في رأسه فنادى على إحدى زوجتيه لتمشّط شعره علها بهذا تخفف الألم، جاءت إحدى المرأتين إليه ووضعت رأسه في حضنها وأخذت تمشّط شعره حتى سكن الألم وشعر الرجل بالنعاس، فطلبت منه أن يستلقي على ظهره لكي تستطيع أن تمشط شعره

من الأمام. في هذه الأثناء كانت الزوجة الأخرى تذيب الصمغ وتنتظر إشارة من الزوجة التي بجانب الرجل وحين أشارت الأخيرة إليها جاءت مسرعة تحمل الصمغ الساخن، ومعاً سكبتا الصمغ الساخن في عيني الرجل حتى امتلأتا بالصمغ، فقفز الرجل من الألم وهام على وجهه صارخاً: «موريغو، موريغو».

ركض خارج المخيم وهرب بعيداً وهو ما زال يصرخ من الألم، ولم ترياه زوجتاه ثانية، بالرغم من أنهما ظلتا تسمعان صراخه كل ليلة : «موريغو، موريغو» ورغم أنهما لم تريا زوجهما ثانية إلا أنهما رأتا صقر الليل، البومة وكان الطائر يصيح على الدوام: «موريغو، موريغو» تماماً كما كان زوجهما يصرخ من الألم، وهكذا عرفتا أنه لابدّ من أن يكون قد تحوّل إلى طائر البوم.

وبعد مرور وقت تحوّلت المرأتان إلى مونينغوغاغول، أو طيور البعوض. وهذه الطيور تتميز بأن لها أجنحة تشبه أجنحة البعوض، وفي كل ليلة صيف تصيح هذه الطيور مونينغوغاغول وهي نداء للبعوض فيتجمع في كورس ويبدأ الطنين. وعندما يتجمع البعوض ملبياً النداء، تأمرهم طيور البعوض أن يطيروا في كل مكان ويعضّوا كل ما يستطيعون.

بوغودوغادا طائر المطر

كانت بوغودوغادا عجوزاً تعيش وحدها مع كلابها الأربعة. وبعد فترة طويلة لم يعد يعنيها من أمر البشر سوى أنهم طعام لها ولكلابها، وبالطبع كانت تلجأ إلى الحيلة لكي تؤمّن ما يكفي لهم جميعاً. فتذهب مع كلبيها الصغيرين إلى حيث تجد مجموعة من السود يتراوح عددهم بين عشرين وثلاثين شخصاً ذاهبين إلى الغدير فتقول لهم: «هل تريدون أن أدلكم على حقل مليء بالبادي ميلون».

فيسألونها أين وتجيبهم: «هناك فوق»، وتشير إلى تلة قريبة، «إذا ذهبتم إلى هناك فسوف أذهب أنا وهذين الكلبين إلى هناك ونلاحقها لتذهب باتجاهكم».

ومن غير تردد يذهب السود إلى الموقع الذي حددته لهم، وتذهب العجوز وكلباها ولكن ليس لترسل لهم البادي ميلون، بل تسرع إلى مخيمها وتنادي كلابها بصوت خفيض: «بيرري، غوغو». والتي تعني «اذبحوهم، اذبحوهم». وتلك كانت

الإشارة التي تنتظرها الكلاب لكي تنقضّ على السود، وتعضهم حتى الموت، ثم تجرّ أجسادهم إلى المخيم. وعندما ينفد الطعام تعيد الكرة من جديد.

بعد أن فقد السود الكثير من أهلهم الذين اختفوا فجأة عزموا على معرفة ما حل بهم، ثم بدأوا يشكون في أمر العجوز التي تعيش وحدها وتتجول مع كلبيها على التلة القريبة من الغدير. فاتفقوا أنه في المرة المقبلة على المجموعة التي ستذهب إلى الغدير أن تنقسم قسمين، قسم يذهب وقسم آخر يختفي في الخلف ويراقب ما سيحدث.

رأى القسم الذي يراقب العجوز تقترب من أصدقائهم، وتتكلم إليهم لفترة ثم تمضي مع كلبيها. وبعد ذلك رأوا صحبهم يتمركزون في مكان ما تحت التلة ويرفعون هراواتهم وكأنهم على استعداد لتلقي شيء ما. استغرب المراقبون ولكن ما لبثوا أن سمعوا صوت العجوز تنادي «بيرري غوغو»، لتخرج مئات من الكلاب من كل اتجاه من الأجمة وتحيط صحبهم. وعندما اقتربت الكلاب منهم، التفت حولهم كالسياج ثم انقضت عليهم دفعة واحدة وأخذت تمزقهم بأنيابها حتى قتلتهم.

ورأى المراقبون أيضاً أن العجوز انضمت إلى الكلاب بعد أن قتلت صحبهم وبدأت تساعدهم على جر الجثث إلى مخيمها.

وهكذا بعد أن عرف المراقبون السر وراء اختفاء أهلهم عادوا إلى قبيلتهم وأخبروهم بالأمر. غضب السود جميعاً وحشدوا كل القبائل المجاورة وقرروا أن يثأروا فوراً. ولكي يفلحوا في القضاء على العجوز وكلابها، تسلّحوا بأفضل ما لديهم من الأسلحة وأرسلوا كتيبة منهم لنصب شرك لها ولكلابها.

وعندما كانت المذبحة المعتادة على وشك أن تبدأ وحالما أحاط الكلاب بالسود لكي ينقضوا عليهم كما اعتادوا أن يفعلوا من قبل، هجم مئات الأشخاص من السود وفاجأوهم وتمكنوا من قتل جميع الكلاب وسيدتهم بوغودوغادا وكلبيها الصغيرين.

وبعد أن ذبحوا العجوز وكانوا في طريقهم عائدين إلى مخيمهم سمعوها تصرخ: «بوغودوغادا». فعادوا على الفور وكسروا عظامها. في البداية كسروا ساقيها وتركوها ومضوا، ولكن قبل أن يبتعدوا سمعوها تصرخ ثانية: «بوغودوغادا». فعادوا إليها، وهكذا ظلوا يذهبون ويعودون حتى كسروا كل عظمة من عظامها، ومع ذلك ظلت تصرخ: «بوغودوغادا». فتركوا شخصاً بجانبها ليراقبوا من أين يأتي الصوت، لأنهم كانوا على يقين بأنها ميتة. ولكن الرجل الذي جلس ليراقبها رأى قلبها ينتفض ويصرخ: «بوغودوغادا». وبينما يصرخ خرج

من قلبها طائر صغير. وظل هذا الطائر يطير فوق التلة في الليل ويصرخ: «بوغودوغادا». أما في النهار فكان يمكث في مكان واحد ولا يغادره حتى يأتي الليل، إنه طائر صغير رمادي اللون يشبه إلى حد ما طائر ويدا.

وكان السود يلقبونه بصانع المطر، لأنه إذا ما حدث وسرق أحد بيضه فسيبقى يصيح بلا انقطاع: «بوغودوغادا» حتى تستجيب لصراخه السماء ويهطل المطر. وكان السود عندما يحل ببلدتهم الجفاف، يبحثون عن هذا الطائر الصغير حتى إذا وجدوه ظلوا يلاحقونه إلى أن يصرخ: «بوغودوغادا، بوغودوغادا». وعندما يصرخ في النهار فالجميع يعلم أنها سوف تمطر.

وكما خرج الطائر الصغير من قلب العجوز فقد تحوّلت كلابها إلى أنواع مختلفة من الأفاعي السامة، في حين تحول الكلبان الصغيران إلى أفعوين صغيرين غير سامين، لأنهما لم يشاركا في عض السود وقتلهم، مثلما فعلت الكلاب الأخرى، وفي تلك التلة وفي المكان الذي كان مسرحاً لمذابح بوغودوغادا وكلابها هناك تكومت حجارة بيض يُحكى أنها عظام السود الذين قتلوا هناك.

بورا الحكيم بيامي

تناقلت جميع القبائل الخبر بأن الموسم كان جيداً وأنه لابد من أن يكون هناك مجلس كبير للقبائل، وقد اختير الغوغوريون[1] ليكون مكان التجمع. همس الشيوخ بأن هذا التجمع يجب أن يكون مناسبة لرقصة بورا ولكن يجب ألا تعلم النسوة شيئاً عن هذا الأمر. وقرّر الشيخ بيامي وهو كاهن وطبيب عظيم أن يأخذ ولديه غيندايندامووي وبوماأومانوي إلى مجلس القبائل، فقد حان الوقت لكي يصبحا رجلين ويكون لهما الحرية بالزواج وأكل لحم الأمو وأن يتعلما فنون القتال.

توافدت القبائل على مكان الاجتماع وهو مكان محتشد بالأشجار وأخذت كل قبيلة موقعها حول الفسحة التي في الوسط المخصصة للعروض، فأخذت قبيلة وان الغربان مكانها، ثم قبيلة دوميرا الحمام، وبعدها ماثي الكلاب، وهكذا، ثم بيامي وقبيلته، وباياهمول البجعة السوداء وقبيلتها، وأوبون

(1) مكان كثيف الشجر (م).

السحلية ذات اللسان الأزرق، وغيرها الكثير من القبائل وكل قبيلة نصبت مخيمها في موضع مختلف.

وعندما وصلت جميع القبائل بات هناك تجمع كبير من مئات الأشخاص، وتعددت العروض الليلية إذ كانت كل قبيلة تحاول التفوق على باقي القبائل وإبراز ألوانها الجميلة ومهاراتها المتعددة مقدمة أفضل وأحدث ما لديها من الطرائف وفنون الرقص والغناء. وفي النهار كانت القبائل تتبارى في الصيد وتقام الولائم الكبيرة، أما في الليل فالكثير من الرقص والغناء، وتبادل عهود الصداقة وجرابات البمرنغ، والمباريات والمراهنات وما إلى ذلك. وقد تم منح الشابات إلى المحاربين العجائز، والنسوة العجائز إلى الشباب، حتى الفتيات اللواتي لم يولدن بعد قد نذرن إلى العجائز، والرضيعات إلى البالغين، والكثير من الوعود والعهود وقعت وكان الجميع يستشيرون حكماء قبائلهم أو أطبائها في أمر أي وعد أو عهد يقطعونه.

وبعد بضعة أيام أخبر الحكماء رجال قبائلهم بأنهم يعتزمون عقد بورا، ولكن يجب أن يبقى الأمر سراً على النسوة، وعلى الرجال أن يخرجوا سراً كأنهم خارجون للصيد وأن يجهزوا مكان البورا. ويوماً بعد آخر كان الرجال يخرجون كل يوم

ويعملون على تجهيز مكان البور، فقد نظفوا الأرض على شكل دائرة كبيرة وبنوا حولها سوراً ترابياً، ثم مهدوا طريقاً يؤدي من الدائرة إلى أجمة كثيفة، وبنوا على جانبيه سوراً ترابياً.

وبعد انتهاء التحضيرات، أقاموا في الليل كالعادة احتفالاً راقصاً، وبعد أن استمرت الحفلة لبعض الوقت نهض أحد الحكماء متظاهراً بالعبوس والاستياء وترك الحشد وتوجه إلى مخيمه ثم تبعه حكيم آخر وبدآ القتال. كان كل انتباه الحشد مركزاً على القتال حين سمع فجأة صوت أزيز يأتي من الأجمة المجاورة. أفزع الصوت الغريب والمفاجئ النسوة والأطفال الذين تمسكوا ببعضهم، وأدركت النسوة بأن هذا الصوت صادر عن الأشباح التي جاءت لتساعد على نقل الفتيان إلى مرحلة الرجولة. وإذا كنت يا عزيزي القارئ لا تؤمن بوجود الأشباح فكان الصوت يشبه صوت دوران قطعة مدورة من الخشب مربوطة بخيط.

ومع استمرار الصوت، قالت النسوة بلهجة إعجاب: «غيرايمي» وتعني «شيطان البور» وشدت النسوة أولادهن إلى صدورهن. أما الصبيان فقالوا إنه غياندي وبدا الخوف في عيونهم.

غياندي أيضاً كانت تعني شيطان البورا، لكنها الكلمة التي يستخدمها الصبيان والرجال، فقد كان محظوراً على النسوة استخدام العبارة نفسها، للدلالة على شيطان البورا، لأن كل ما يتعلق بأسرار البورا كان محرّماً على آذان النسوة وعيونهم والأسنتهم.

وفي اليوم التالي تم نقل المخيمات إلى حيث الحلقة الكبيرة التي كان قد صنعها الرجال سراً. وقد رافق هذا الانتقال الكثير من المراسم والطقوس، إذ بعد الظهيرة – وقبل بدء الانتقال – ترك جميع الرجال مخيماتهم وذهبوا إلى الأجمة، ومع غروب الشمس شوهدوا يمشون رتلاً واحداً قادمين من الأجمة على طول الطريق المؤدية إلى الحلقة والتي كانوا قد أعدوها من قبل. وكان كل واحد منهم يحمل مشعلاً في يد وغصناً أخضر في الأخرى. وعندما وصلوا إلى الحلقة المسيّجة كانت تلك هي الإشارة لكي ينتقل اليافعون والنسوة من المخيم القديم إلى حلقة البورا. وداخل هذه الحلقة نصبوا الخيم وتناولوا العشاء وأقاموا الاحتفال، تماماً كما كانوا يفعلون كل ليلة في الأمسيات الماضية، إلى أن وصل الاحتفال إلى المرحلة المنتظرة. ولكن قبل ذلك، كان بيامي أكبر الحكماء بين القبائل قد أظهر قوته بطريقة ملحوظة حين عاقب قبيلة ماثي، الكلاب.

كانت هذه القبيلة قد تعاملت طوال أيام بقلة احترام، فبدل أن يظهر أفرادها الطاعة والاحترام لما يقوله الحكماء، وتصمت عندما يتكلمون، ظلوا يثرثرون ويتضاحكون ويلهون ويصرخون كأنهم ليسوا في احتفال تؤدى فيه كافة الطقوس المقدسة. ولم تؤثر بهم تنبيهات الحكماء وزجرهم المتكرر، وتجاهلوا كل التحذيرات.

نفد صبر كبير الحكماء وأكثرهم قوة وشهرة فنهض من مكانه وتوّجه إلى مخيم جماعة مائي وخاطبهم بغضب: «أنا يامي، الذي تجلّه وتحترمه جميع القبائل، قد نبهتكم ثلاث مرات أن تكفوا عن الثرثرة والضحك، ولكنكم تجاهلتموني، ثم نبهكم حكماء القبائل الأخرى ولم تستجيبوا أيضاً. إذن، لقد اخترتم إحداث الجلبة وإزعاج الرجال، فهل تعتقدون أن الحكماء سيساعدون بعد الآن أياً من فتيانكم ليصبحوا رجالاً؟ لا أنا أقولها لكم.

لقد اخترتم أن تكونوا القبيلة التي لا تعرف كيف تصمت بحضور الغرباء، ولا تحترم الطقوس المقدسة، فلتكونوا كذلك إذن، ومن الآن فصاعداً لن يكون بمقدوركم أن تتكلموا كسائر البشر، فمصيركم أنتم وسلالتكم أن تكونوا مصدر ضجيج للأبد، ولكن ليس ضجيج الخطابات، بل الضحك، ولذلك

فسيكون ضجيجكم هو النباح والعواء. وبدءاً من هذا اليوم إذا قدّر لكم أن تتكلموا فلن تجدوا من يسمعكم، وحتى إن سمعكم أحد فسوف يتحول إلى حجر».

أراد أفراد قبيلة ماثي أن يسخروا مما قاله يامي، ولكن ما إن فتحوا أفواهم ليضحكوا حتى أدركوا أن ما قاله أصبح حقيقة فلم يستطيعوا إلا النباح والعواء، وفقدوا قدرتهم على الكلام والضحك. وعندما أيقنوا حجم خسارتهم، ارتسمت في عيونهم نظرة حزن واستعطاف خرساء وبقيت هذه النظرة في عيون سلالتهم منذ ذلك اليوم. خيّم على باقي القبائل شعور بالدهشة والرهبة والتهيّب وهم يراقبون بيامي يعود إلى مكانه بين قبيلته.

عندما اتخذ بيامي مكانه في مخيمه، سأل النسوة لماذا لا يطحنّ الحبوب، وأجبنه: «لقد اختفت حجارة الديرول (الرحى) ولا نعرف أين هي؟»».

قال بيامي: «أنتن تكذبن، لقد أعرتموها لقبيلة دوميرا، الذين يأتون على الدوام لاستعارتها، بالرغم من أنني نبهتكن ألا تفعلن».

«لا يا بيامي، لم نعرهم إياها».

«اذهبن إلى مخيم دوميرا واسألنهم عن الديرول».

وعلى الرغم من يقينهن بأنهن لم يعطين الديرول لقبيلة دوميرا، فقد ذهبن إلى المخيم خشية أن يكون مصيرهن كمصير قبيلة مائي في حال لم يطعن الأوامر. وفي طريقهن إلى المخيم كنّ يمررن على كل قبيلة ويسألنهم أن يعيروهن الديرول خاصتهم ولكن الجميع كان يجيب الإجابة نفسها بأن الديرول اختفى ولا يعرفون أين، على الرغم من أن قبيلة «دوميرا» طلبتها مراراً ورفض الجميع طلبها، ولكن أحجار الديرول جميعها اختفت.

تابعت النسوة طريقهن وفجأة سمعن جلبة أشبه بصراخ لبأرواح، وخليط من الأصوات يشبه: «أووم، أووم، أووم». وبدا لهن أن مصدر الصوت من الفضاء وكأنه من قمم الأشجار، ثم من الأرض وكأنه من العشب، واختلطت الأصوات واعتقدن أن الأشباح في كل مكان. أحكمن قبضاتهن على المشاعل وقلن لبعضهن بعضاً: «فلنعد نعود أدراجنا، هناك أرواح في المكان». وهرعن عائدات إلى المخيم وما زال الصوت يطن في آذانهن: «أووم، أووم، أووم». أخبرن بيامي بأن كل القبائل فقدت أحجار الديرول وأن الأشباح منتشرة في المكان، وقبل أن ينهين كلامهن سمع الصوت من جديد: «أووم، أووم، أووم».

جثت النسوة على الأرض، في حين وجّه بيامي مشعله

نحو مصدر الصوت، ولكنه لم ير أحداً، بل شاهد أغرب شيء في حياته؛ شاهد حجري ديرول ينتقلان في المكان رغم أنه لم ير أحداً يحملهما، فقط الحجران كانا يتحركان مبتعدين عن المخيم، وكلما تسارعت حركة الحجرين علا الصوت: «أووم، أووم، أووم» حتى بدا الهواء مكتظاً بالأرواح، فأيقن بيامي أن الأشباح في الجوار، فتشبث بمشعله وعاد هو أيضاً إلى المخيم.

وفي الصباح لاحظوا أن أحجار الديرول لم تكن الوحيدة التي اختفت، وإنما أيضاً مخيم دوميرا الحمام كان خالياً وقد رحل أصحابه. فعندما رفض الجميع إعارة الدميرا حجر الديرول قالوا: «إذن لن نستطيع أن نطحن الحبوب إلا إذا جاءت لنا وونداٍ[1] بأحجار الديرول». ولم ينتهوا من لفظ الكلمات حتى بدأت أحجار الديرول تتحرك باتجاهم. في البداية ظنوا أنها مهاراتهم الخاصة قد مكنتهم من تحويل أمنيتهم إلى حقيقة، ولكن كانت أحجار الديرول تنزلق إلى مخيمهم واحداً بعد الآخر وعندما تتحرك الأحجار كان يسمع صوت «أووم، أووم، أووم» في كل مكان فعرفوا أن ووندا وراء ذلك. وكان عليهم أن يتحملوا عاقبة رغبتهم، فقد حكم عليهم أن يتبعوا أحجار الديرول أينما ذهبت، وإلا سوف تغضب منهم الأرواح التي جعلتها تتدحرج إلى مخيمهم.

(1) ووندا: اسم الشبح عند سكان استراليا الأصليين (م).

وهكذا فقد جمعوا ممتلكاتهم وتبعوا آثار الديرول التي اختصرت الطريق من غوغورون متجهة إلى الأسفل إلى غيراوين والتي تصبح مسيلاً للماء في أيام الفيضان، وتابعت أحجار الديرول مسيرها من غيراوين إلى ديرانغيبيرا وخلفها مشت قبيلة دوميرا. تقع دينغيبيرا بين بيوارين وويدا مارتي، وهناك تكوّمت أحجار الديرول فوق بعضها بعض، وفيما بعد كان على السكان السود أن يذهبوا إلى هناك عندما يريدون الحصول على أحجار ديرول جيدة. أما أفراد قبيلة دوميرا فقد تحوّلوا إلى حمام وظلوا يصدرون الصوت الذي أصدرته الأرواح: « أووم، أووم، أووم».

ومن بين الأشياء الغريبة الأخرى التي حدثت في تجمع بورا الكبير ذلك، أن قبيلة تدعى أوبون، كانت تخيم بعيداً عن القبائل الأخرى وكانت كلما ذهب غريب إلى مخيمها يخرج رئيسها ويسلّط ضوءاً على وجهه فيقتله على الفور. ولم يعرف أحد ماهية هذا الضوء الذي يحمل وميضه الموت. في النهاية قال وان الغراب: «سوف أذهب ومعي درعي الخشبي الكبير وأكتشف ماهية الأمر، ولكن إذا أردتم اللحاق بي فلا تقتربوا كثيراً لأني وإن كنت أعرف كيف أحمي نفسي من الوميض القاتل فقد لا أكون قادراً على حمايتكم».

مشى وان إلى مخيم أوبون وفي اللحظة التي استدار فيها رئيس القبيلة ليضيء ضوئه في وجهه، وضع وان درعه وحمى نفسه تماماً ثم صاح: «واق، واق، واق، واق».

أجفل أوبون وسقط الضوء من يده ثم قال: «ماذا هناك؟ لقد أجفلتني. لم أعرف من أنت، كنت قتلتك من غير قصد وأنا لا أتمنى ذلك لأن الوان هم أصدقائي».

قال وان: «لا أستطيع أن أقول الآن، يجب أن أعود إلى المخيم لأني نسيت شيئاً أردت أن أريك إياه، سأحضره وأعود في الحال». وركض عائداً إلى حيث ترك البوندي[1]، ثم عاد بسرعة فلم يكد أوبون يلحظ غيابه. جاء من خلف أوبون خلسة وضربه بالبوندي فأرداه قتيلاً منتقماً منه للضحايا الذين قضوا بضوئه القاتل. مدّد جثة رئيس قبيلة أوبون على الأرض وعاد يهتف بنشوة النصر: «واق، واق، واق». إلى مخيمه ليخبر الجميع بما فعل.

كانت الليلة التي بدأت بها احتفالات بورا مخصصة لرقصات النسوة قريبات الفتيان الذين اختيروا لينتقلوا إلى مرحلة الرجولة. وهكذا فقد رقصت النسوة طوال الليل. وعندما شارفت الحفلة على الانتهاء طلب من الشابات الذهاب إلى خيم من الغصون

(1) البوندي: هراوة ضخمة (م).

كانت قد أعدت مسبقاً لهذا الغرض وانتشرت على جوانب الحلقة. ذهبت الشابات للخيم في حين بقيت العجائز ساهرات.

أما الرجال الذين تقع على عاتقهم مسؤولية تدريب الفتيان وتعليمهم ما يجب أن يتعلموه ليصبحوا رجالاً فقد استعدوا للبدء بمهماتهم وأمسك كل بالفتى الذي في عهدته ليحمله ويذهب به عبر الممر إلى الأجمة. وعند تلقي الإشارة حمل كل رجل فتاه على كتفيه وبدأوا جميعاً بالرقص حول حلقة البورا ومن ثم طلبوا من العجائز أن يودعن الفتيان ويلحقن بالشابات إلى الخيم. وبعد أن دخلت النسوة إلى الخيم قام خمسة من الرجال بإرخاء سدول الخيم ليحجبوا الرؤية عنهن.

وبعد أن حبسوا جميع النسوة في الخيم، حمل الرجال الفتيان واختفوا بين أشجار الأجمة. وبعد أن غاب الرجال والفتيان عْن الأنظار، عاد الرجال الخمسة وفتحوا الخيم وحرروا النسوة اللواتي ذهبن إلى مخيماتهن. ومهما كان فضول النسوة كبيراً لمعرفة الطقوس التي يجري خلالها نقل الفتيان إلى مرحلة الرجولة ولكنهن يدركن أن ما من أحد سيجيب عن أسئلتهن ولن يحصلن على أي معلومات فيلزمن الصمت ويكتفين بالترقب. بعد بضعة شهور يعود أولادهن من جديد

ويعرفن أنهم قد فقدوا ربما أسنانهم الأمامية، وربما أشياء أخرى من أجسادهم ولكن خلاف ذلك لا يعرفون أي شيء. وكم وددن لو يعرفن سبب أن أولادهم لم يعد مسموحاً لهم النظر في وجوه أمهاتهم منذ اللحظة التي يختفون فيها في الأجمة ولكن أحداً لم يفسر لهن شيئاً.

وفي اليوم التالي لاختفاء الفتيان تجهز القبائل نفسها للسفر إلى مكان آخر يبعد مسافة عشرة إلى اثني عشر ميلاً عن مكان البورا الكبير حيث سيعقد حفل البورا الأصغر بعد أربعة أيام.

في مكان البورا الصغير تستبدل الحلقة الترابية بحلقة من الأعشاب. وترحل كل القبائل لتخيم هناك وتبدأ احتفالات الرقص والغناء. وبالطريقة نفسها في نهاية الحفلة ترسل الشابات إلى النوم باكراً وتبقى العجائز لوداع الفتيان الذين يؤتى بهم ليودعوا أمهاتهم الوداع الأخير، ثم يأخذهم الرجال المسؤولين عنهم مجدداً. يرحلون جميعهم ويبقون معاً لفترة من الزمن ثم يتفرقون وكل رجل وفتاه يذهبان بجهة.

كل رجل يكون مسؤولاً كلياً عن الفتى الذي في عهدته على الأقل لستة أشهر. وخلال هذه الفترة غير مسموح للفتى حتى بالنظر إلى وجه أمه. وبعد انقضاء الأشهر الستة يصبح بإمكانه

العودة لقبيلته. ولكن من آثار تلك العزلة يكون الفتى قد أصبح قاسياً وجافاً ويخشى الكلام حتى مع أمه، كما أنه يهرب بعيداً إذا ما اقتربت منه إلى أن تزول الغرابة مع الزمن ويعود لطبيعته.

ولكن في هذه المرة من بورا بيامي لم يكن مقدّراً للقبائل أن ترى فتيانها ثانية. فما إن انتهت من جمع متاعها وبدأت المسير باتجاه المخيم حتى ترنحت ميلندولونيباه الأرملة وأخذت تبكي وتصرخ بهم: «لقد تركتموني جميعاً، وأنا أرملة ومعي الكثير من الأطفال، تركتموني وحيدة. ألم تفكروا في صغاري، كيف سيستطيعون اللحاق بكم؟ وهل تستطيع كتفاي أن تحمل أكثر من حقيبة؟ وهل لدي سوى ذراعين وظهر واحد؟ إذن كيف يمكنني أن أمشي بسرعة مثلكم مع كل أولئك الأطفال؟ ومع ذلك لم ينتظرني أحد ليساعدني. كما أنكم كلما مررتم على حفرة ماء شربتموها كلها ولم تبقوا شيئاً لي أو لصغاري. وعندما نصل متعبين وظمآنين إلى حفرة الماء وأطفالي يبكون من العطش ماذا أجد لأقدم لهم؟ الوحل، الوحل فقط؟ ويبكي أطفالي من العطش والتعب وأمهم عاجزة عن تهدأتهم، وهكذا أصبّر نفسي وأصبّرهم حتى نصل إلى حفرة أخرى. ولكن ليس سوى الوحل أيضاً. حفرة بعد أخرى وليس سوى الوحل. ومات أطفالي

واحداً تلو الآخر بين يدي، ماتوا من العطش ولم تستطع أمهم أن تقدم لهم الماء».

وبينما تتكلم أسرعت إليها امرأة بالماء.

قالت الأرملة: «جئت متأخرة، لقد فات الأوان، لماذا ستعيش أم بعد أن مات صغارها».

وارتمت على الأرض تتأوه. ولكن ما إن شعرت ببرودة المياه على شفتيها وبللت حنجرتها الجافة، حتى حاولت أن تقف على قدميها. وبعد أن انتصبت واقفة لوّحت بيديها حول القبائل وصرخت: «لقد كنتم مسرعين جداً لتصلوا إلى هنا، وسوف تبقون هنا إلى الأبد. غوغولغايا، غوغولغايا، تحوّلوا إلى أشجار، تحوّلوا إلى أشجار».

ثم سقطت ميتة. وقبل أن تصل إلى الأرض فإن القبائل التي كانت حول الحلقة أو في مقدمة الحلقة تجمع متاعها وتستعد للذهاب والتي أشارت إليهم بيدها تحولت جميعاً إلى أشجار ما زالت هناك إلى اليوم. أما القبائل التي كانت خلفهم فقد تحولت إلى طيور وحيوانات ما زالت تحمل أسماءهم. فماثي التي تنبح تحولت إلى كلاب وبياميرل إلى إوز وقبيلة وان إلى غربان وهكذا.

وهناك حيث مكان تجمع البورا الكبير ما زالت الأشجار واقفة طويلة وعملاقة ومفعمة بالحزن بألوانها الداكنة تلوّح بأغصانها بنواح حزين نحو البحيرة التي تغطي اليوم المكان الذي عقد فيه اجتماع البورا. وتحمل اليوم اسم غوغوروين وهو المكان المليء بالأشجار. وحولها ما زالت آثار الأسوار الترابية لحلقة البورا. ويعرف المكان بأنه أكبر مكان تجتمع فيه الطيورَ التي تحمل أسماء القبائل القديمة، حيث بياميرل الإوز تسبح بفخر بجوار البجعات التي تنافسها من حيث الحجم والجمال، والبط وغيرها أنواع كثيرة أكثر من أن تحصى. وأوبون السحلية ذات اللسان الأزرق تنزلق بين العشب. وكان يسمع بين الحين والآخر صوت دوميرا «أووم، أووم، أووم،» وأحياناً صراخ طير ميليندولونيا: «غوغولغايا، غوغولغايا». حيث يجيبه الحفيف الحزين لأغصان أشجار بالا الكئيبة ويشكل الحفيف مع صوت نحيب الطائر خلفية حزينة للبحيرة تردد رجع صدى الماضي.

أما الرجال وفتيانهم فقد طال انتظارهم في مكان البورا الصغير ولكن أحداً من القبائل لم يصل. لقد كانوا وحدهم الذين نجوا من التحوّل.

بعد انتظار طويل نفد صبر بيامي فقال: «من المؤكد أن عدواً

ما قد ذبح أصدقاءنا، ولم ينجُ أحد ليخبرنا عن مصيرهم. وقد يكون هذا العدو في إثرنا الآن فدعونا نهرب إلى قرية بعيدة».

وبسرعة بدأوا الرحيل باتجاه نبع نوندو، وكان معهم كلبة من كلاب بيامي تمددت على جانب الطريق ورفضت أن تتبعهم، لكن بيامي أصر على عدم تركها. وعندما وصلوا إلى النبع تسللت الكلبة إلى أجمة كثيفة وهناك أنجبت جرائها الصغار. ولكن الجراء كانت غريبة لم ير بشر مثلها قط. فقد كان لها جسد كلب ورأس خنزير وقوة شيطان. وكان الموت مصير كل من تصادفه في طريقها، وحتى بيامي نفسه لم يجرؤ على الاقتراب من كلبته.

هكذا مات الجميع وبقي بيامي الحكيم العظيم الذي عاش إلى الأبد ولكن ما من أحد يجب أن ينظر في وجهه وإلا مات فوراً. وهكذا عاش هذا الشيخ - أعظم الحكماء - وحيداً على إحدى تلال نوندو.

بانياريل الذباب وويرانانا النحل

كانت بانياريل وويرانانا قريبتين تعيشان في مخيم واحد. كانت ويرانانا تكدّ في جمع الطعام في أيام الرخاء وتخزنه لأيام القحط. أما بانياريل فلم تكن تعبأ بالمستقبل، بل تقضي وقتها باللعب حول القمامة ولم تفكر يوماً في أن تجمع أي مؤونة.

وذات يوم قالت لها ويرانانا: «تعالي معنا واجمعي بعض الرحيق من الأزهار، فغداً يأتي الشتاء وتموت الأزهار ولا يبقى هناك رحيق».

أجابت: «لا، لديّ ما أهتم به هنا».

ومضت تلعب بالقمامة وتضيع وقتها، وهي على يقين بأنها سوف تقاسم وقريبتها ما تخزّنه من طعام.

ذهبت ويرانانا وحدها وتركت خلفها بانياريل تلو بالقذارة. وبعد أن جمعت الأزهار وخزنت العسل، لم تعد للعيش مع

بانياريل في المخيم نفسه، فقد أعياها التعب وهي تقوم بالعمل وحدها، في حين تشاركها بانياريل بالطعام.

ومع مرور الوقت تحولت ويرانانا إلى نحلة برية صغيرة، أما بانياريل فصارت ذبابة.

دييغنبويا الطائر- الجندي

كان ديغنبويا شيخ أعياه التعب وبات يصعب عليه صيد ما يكفي لإطعام زوجتيه وابنتيه. ورغم أنه يخيم بعيداً عن القبائل الأخرى إلا أنه اعتاد أن يرافق رجال قبيلة موليان النسور في رحلاتهم للصيد، وبهذا فهو يحصل على طعام أكثر مما لو ذهب وحيداً.

وذات يوم تأخر ديغنبويا عن اللحاق بجماعة موليان، فاختبأ في الأجمة وانتظرهم حتى عادوا. حين أصبحوا على مقربة من المخيم سمعهم ينشدون أغنية الأمو. لقد جرت العادة عندهم أن الصياد الذي يكون أول من يجد عش أمو، يغني هذه الأغنية في أثناء العودة إلى المخيم. قفز ديغينبويا عندما سمع الأغنية ومشى باتجاه قبيلة موليان يغني الأغنية نفسها كأنه هو الآخر قد وجد عش أمو.

ومعاً راحوا جميعاً ينشدون بفرح:

«نيردو، نيردو، ني، ديرين، ديرينباه، اه، اه، اه، اه، اه

غارمبي بووان يانادي بياواه، اه، اه، اه، اه، اه.

غوبوندي، دي، بي، بي، بي، بي.

نيا نين غولبيجاه، اه، اه، اه، اه، اه».

وكانت الأغنية تعني:

«لقد كنت أول من رآه بين العشب اليانع،

والعلامة البيضاء على جبينه،

العلامة البيضاء الوحيدة التي رأيتها قبل أن أرى الأمو تمشي معاً في وضح النهار

لم أر عشاً من قبل، فقط رأيتهم يتحركون ويتحركون،

الآن وقد وجدنا العش،

يجب أن نحذر من النمل لئلا يصل إلى البيوض

فإن مشى النمل فوقها سوف تفسد البيوض».

ومع انتهاء المقطع الأخير من الأغنية يردد الذين في المخيم اللازمة ليخبروا الصيادين أنهم عرفوا بأنهم أول من وجد عش الأمو لهذا الموسم.

عندما وصل الصيادون إلى المخيم كان بينهم ديغيينبويا فالتفت موليان نحوه وسأله: «هل وجدت عش أمو، أنت أيضاً؟».

أجاب ديغيينبويا: «نعم، أنا أيضاً وجدت عشاً، لكني أعتقد أنكم وجدتم العش نفسه الذي وجدته أنا، وحتماً لقد جئتم بعدي لأني لم أر آثار أقدامكم، لكني مسنّ وأطرافي متصلبة لذلك لم أكن سريعاً مثلكم. أخبروني عن مكان العش الذي وجدتموه؟».

«في حرش غولاباه، على طرف السهل»، أجاب موليان دون أن يشكوا بأمره.

«هذا ما اعتقدته. إنه العش نفسه الذي رأيته. ولكن لا يهم. سوف نتقاسم العش وسوف يكفينا جميعاً. يجب أن نذهب ونخيم قرب العش الليلة علنا نستطيع أن نصطاد الأمو في الصباح».

حمل صيادو موليان شبكة اصطياد الأمو، والتي هي عبارة عن حبل رفيع وشبكة من الثياب الرقيقة ارتفاعها خمس أقدام

وطولها بين ثلاث وأربع ياردات، وانطلقوا بصحبة دينغيبويا ليخيموا بجوار عش الأمو.

بعد أن اختاروا مكاناً مناسباً ونصبوا خيمتهم، تناولوا عشاءهم واحتفلوا ورقصوا رقصات تمثل عملية اصطياد وذبح الأمو وقضوا ليلتهم بالبهجة والفرح.

ومع خيوط الصباح الأولى نصبوا شبكتهم على شكل مثلث حول العش وتركوا أحد أضلاعه مفتوحاً. ووقف شخص عند كل طرف من الشبكة على مسافة معينة وثبتوا الشبكة بأعمدة رأسية. وعندما أصبحت الشبكة ثابتة وقف الصيادون على شكل حلقة حول العش تاركين الطريق مفتوحاً باتجاه الشبكة، ثم بدأوا بتضييق الدائرة بالتدريج حتى أجفلوا الأمو من عشه. وعندما رأى الأمو الصيادين في كل مكان باستثناء مكان واحد ركض مسرعاً باتجاهه. فركض الصيادون خلفه ولم يلبث الأمو أن دخل الشبكة. أمسك أحد الصيادين الأمو وكسر رقبته.

أحضروا البيض من العش وبدأوا يجهّزون لشي الأمو. فنظفوه وحفروا حفرة في الأرض ووضعوا فيها طبقة سميكة من الفحم، وفوق الفحم بعض الأغصان والأوراق وبعض الريش ثم وضعوا الأمو فوقها. وبعد ذلك وضعوا طبقة من

الأغصان والريش فوق الأمو ثم طبقة من الفحم وأخيراً غطوا الحفرة بالتراب.

سوف يستغرق طبخ الأمـو عـدة ساعات لذلك اقترح ديغينبويا: «سوف أبقى هنا وأهتم بشي الأمو، أما أنتم أيها الشباب فخذور حرابكم وحاولوا اصطياد المزيد منه».

وجد الصيادون اقتراح ديغيبوايا منطقياً فأخذوا الحراب والسلال لحمل الطيور فيما لو اصطادوا شيئاً وعلقوا بضع ريشات من ريش الأمو في حرابهم وانطلقوا للصيد. لم يطل بهم الأمر حتى وجدوا سرباً من الأمو مقبلاً نحو الماء حيث كانوا يتزودون بالماء.

انقسم الصيادون فريقين وصعد الذين يحملون الحراب إلى الشجرة وكسروا بعض الغصون ووضعوا الحراب تحتها، لكي يخفوها فلا يراها الأمو، في حين تركوا الريش يظهر. وكلما اقترب سرب الأمو منهم هزوا الحراب فيتحرك الريش الذي في طرفها وكأنه أمو. عندما رأى الريش اقتربت الطيور أكثر بدافع الفضول رافعة أعناقها متشممة الريش وكأنها تسأل كيف وصل الأمو إلى هناك. اقتربت الطيور إلى مسافة قريبة جداً من الحراب وبسرعة ضربها الصيادون بالحراب. فوقع أحد الطيور ميتاً في

الحال أما الآخر فطار مسافة قصيرة والحربة مغروزة به ثم سقط. أسرع الصيادون باللحاق به وسرعان ما أمسكوا به.

حمل الصيادون الطيران وعادوا إلى حيث كان ديغينبويا يطبخ الأمو. وأضافوا الطيرين إلى الأول. وبعد أن طبخوا طيور الأمو الثلاثة، عادوا إلى مخيمهم فرحين برحلتهم الموفقة. وفي طريق عودتهم بدأوا يمرحون فيرمون المورولا أو الأحجار البلورية أو يلعبون بالبابيرا وهي البمرنغ التي تعود إلى راميها. فقال لهم ديغينبوايا: «دعوني أحمل الأمو وحرّروا أيديكم ولتلعبوا بالبابيرا والمورولا ولنرى من منكم هو الأفضل».

أعطوه طيور الأمو ومضوا. بعضهم يرمي المورولا ويستعرض بعضهم الآخر مهاراته في رمي البابيرا. أما ديغينبوايا فقد تركهم يمضون وجلس على حافة الطريق. ظن الصيادون أنه جلس للراحة قليلاً فتابعوا مرحهم ولعبهم، وكلما رمى أحدهم رمية جيداً حرض بها الآخرين لبذل المزيد من الجهد إذ لا أحد يرضى بالهزيمة.

وعندما ابتعدوا كثيراً عن ديغينبوايا ولاحظوا أنه ما زال جالساً صاحوا يسألونه ما الأمر. فأجابهم: «أنا بخير، فقط أستريح قليلاً، وسوف أتبعكم بعد لحظات». ثم تابعوا سيرهم.

بعد أن غابوا عن ناظريه، أسرع ديغينبوايا وحفر حفرة في الأرض. كانت تلك هي مدخل وكر صرصار ميرغا مغي وهو يعرف الطريق جيداً فهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها هذا الطريق وهو يعرف أن هناك فتحة أخرى بالقرب من بيته. دخل إلى الوكر ثم غطى الحفرة بشكل أنيق خلفه.

وصل صيادو موليان إلى مخيمهم وانتظروا، ولكن لا أثر لديغينبوايا، فرجعوا إلى حيث تركوه ونادوه بصوت عالٍ ولكن لم يسمعوا أي جواب، ولم يجدوا أي أثر له.

غضب مولیانغا، رئيس قبيلة موليان، وأقسم أنه سوف يجده بنفسه. حمل سلاحه وذهب إلى حيث رأوا ديغينبوايا آخر مرة جالساً على الطريق. اقتفى أثر أقدامه ووجد أنه عاد إلى الخلف قليلاً ثم اختفت الآثار تماماً. ولم يلاحظ مدخل وكر ميرغا مغي الذي كان مغطى جيداً ولكنه قرر أن يفتش عنه في الغابة المجاورة حتى يجده. وبينما هو يمشي في الغابة رأى مخيماً. اقترب من المخيم وكان فيه طفلتان صغيرتان تلعبان حول المخيم وعرفهما. كانتا ابنتا ديغينبوايا.

سألهما: «أين والدكما؟».

أجابت الفتاتان: «خرج للصيد».

«وأي الطرق يسلك في عودته؟».

«أبونا دائماً يأتي من هنا»، وأشارتا إلى وكر الصرصار في الأرض.

«وأين والدتكما؟».

«والدتانا ذهبتا لإحضار العسل واليام». وركضت الفتاتان إلى شجرة مائلة حيث كانتا تلعبان وتتسلقان على جذعها المنحني.

تبعهما موليانغا ووقف في نقطة حيث الجذع مرتفع عن الأرض وقال: «الآن، أيتها الفتاتان، اصعدا إلى هنا واقفزا، وأنا سوف أتلقاكما. اقفزا واحدة بعد الأخرى».

قفزت إحدى الفتاتين باتجاه ذراعيه المفتوحتين، ولكنه ما إن اقتربت منه حتى سحب ذراعاه وابتعد تاركاً الفتاة تسقط على الأرض بكل قوتها فماتت من حينها. ثم قال للأخرى والتي كانت ترتجف رعباً: «هيا، اقفزي، اختك قفزت بسرعة، انتظري حتى أناديك ثم اقفزي».

«لا أريد، أنا خائفة».

«هيا، سأكون جاهزاً هذه المرة ولن أدعك تسقطين. هيا اقفزي».

«أنا خائفة».

«هيا، أنا قوي».

وابتسم للفتاة بلطف مما شجعها على القفز ولكن فقط لتلاقي المصير نفسه الذي لاقته أختها.

قال موليانغا: «الآن، ها قد جاءت الزوجتان. علي أن أسكتهما قبل أن تريا طفلتيهما وتبكيان فتنبهان بذلك زوجهما الذي من المفترض أنه أصبح على مرمى السمع».

وهكذا تسلل من خلف الشجرة وغافل الزوجتين وحين مرتا به ضربهما بحرابه فأرداهما قتيلتين. وبعدها ذهب إلى الوكر حيث أرشدته الطفلتان وجلس ينتظر مجيء ديغينبوايا.

لم يطل انتظاره طويلاً حتى دفع التراب إلى الخارج وظهر من الوكر طير الأمو المطبوخ. أمسك به ووضعه جانباً.

ظن ديغينبوايا أنه الفتاتان إذ اعتادتا أن ترقبانه حين يعود وتأخذان ما يحضره فدفع بالآخر ثم بالثالث. وأخيراً ظهر

دينغينبوايا ليجد موليانغا بانتظاره وحربته جاهزة في يده. نظر خلفه وفكر في الهرب إلا أن موليانغا سبقه وأغلق باب الجحر مفوتاً عليه فرصة الهرب.

قال موليانغا: «ها أنت أخيراً، لقد سرقت طعامنا والآن يجب أن تموت، لقد قتلت ابنتيك».

نظر ديغينبوايا حوله فوجد جسدي طفلتيه تحت الشجرة فتألم وتأوّه بشدة.

أردف موليانغا: «وقتلت زوجتيك أيضاً».

نظر ديغينبوايا مرة أخرى حوله ورأى جسدي زوجتيه عند مدخل المخيم، ثم أخذ يصيح: «أنت يا موليانغا! هذه طيور الأمو، خذها واقتلني. لن أسرق مجدداً فأنا يكفيني القليل، إنما كنت أسرق من أجل طفلتي وزوجتي الجائعات. اقتلني أرجوك. أنا رجل طاعن في السن ولن أعيش طويلاً. اقتلني».

قال موليانغا: «لك هذا، لن يعيش رجل ليسرق من موليانا مرتين»، ورماه بحربة ثم حمل طيور الأمو وعاد مسرعاً إلى مخيمه.

سعيداً كان ذاك المساء إذ تناول أفراد قبيلة موليان الأمو، في حين راح موليانغا يحكي لهم قصته وكيف وجد ديغينبوايا وذبحه مع أسرته، وكم كانوا فخورين بحنكة رئيسهم وقوته.

ميرا الريح التي تطرد الشتاء

مع بداية الشتاء تختبئ سحالي الإغوانا في بيوتها، وتذهب النسور السود إلى أعشاشها، وتختبئ الصراصير في شقوق الخشب. تحفر الإغوانا جحراً طويلاً وهي تمر في جوف الأرض. ويبقى الجميع في بيوتهم حتى تأتي ميرا، ريح الربيع، وتطرد الشتاء. وعادة ما تسبق ميرا عاصفة رعدية. وعندما تسمع الإغوانا الرعد، تعرف بأن الربيع على الأبواب. وتبدأ بشق طريقها إلى الخارج. ولكن لا تترك بيوتها حتى تسمع كيرينقوينقوين أو الطائر الجزار[1] يغني طوال اليوم: «غور، غور، غور».

حينئذ فقط تيقن من أن ميرا قد طردت الشتاء. وقد بدأت الطيور تتزاوج وتبني أعشاشها. وعندها فقط تفتح الإغوانا أعينها وتخرج من أوكارها وتعود ثانية إلى الأرض الخضراء.

أما السكان السود فغناء كيرينقوينقوين أو «غور، غور، غور» يعني لهم شيئاً آخر.

---

(1) طائر الجزار: هو طائر له منقار صلب يقتل به الطيور الصغيرة والحشرات ويعلقها على أعناق الأزهار أو النباتات ولذلك دعي بالجزار (م).

يعني أنه أصبح بإمكانهم أن يصطادوا الإغوانا وقد أصبحت أكثر سمنة مما كانت عليه في بداية الشتاء.

وقنافذ النمل أيضاً سوف تترك صغارها بعد أن دفنتهم في الرمل لكي يكتمل نموهم إذ لم تعد تقوى على حملهم وقد نما شوكهم وبدأ يخزها في جرابها. ثم تهرب بعيداً لكي لا تسمع بكاءهم وهي على يقين أنها ستلتقيهم حين يكبرون.

وبعد أن تهب ميرا، ريح الربيع المعتدلة، تبدأ الأزهار بالتفتح، وتعود النحلات لجني الرحيق. ويلبس كل طائر أجمل ريشه بألوانه الزاهية ويغني أجمل أغانيه ليجتذب زوجاً ثم يتزاوجان ويبدآن ببناء عشهما.

وتبقى ميرا تهب حتى تصبح الأرض روضة غنّاء. ثم يبدأ ياهي الشمس بملاحقة ميرا كلما لاحت. وتبدأ الأزهار بالذبول، وتكف الطيور عن الغناء إلا في الصباح الباكر. وهكذا يحكم الشمس ياهي الأرض حتى تهب العواصف وتهدئ من روعه، ثم يأتي الشتاء ليحل مكانه. إلى أن تهب ميرا حبيبة الجميع وحاملة الرخاء.

ويامبا سلحفاة الماء

كانت أولاه السحلية تقتلع اليام في سهل ميريا وبصحبتها ثلاث من بناتها. وفجأة اعتقدت أنها سمعت صوت شخص يتحرك خلف حرش ميريا الكبير. وبينما هي تصغي لتتأكد قفز ويامبا من الحرش وأمسك بتلابيبها. وعدها بأنه لن يؤذيها إذا ما صمتت ولم تحدث ضجة. ولكن ما قصده هو أنه يريد أن يصطحبها معه إلى مخيمه لتكون زوجته، كما سوف يأخذ البنات الثلاث ويهتم بهن.

أدركت أولاه أن المقاومة لن تجدي فهي لا تملك سوى عصا اقتلاع اليام، في حين أن ويامبا كان مسلحاً بحربته وهراوته.

أخذ ويامبا المرأة وبناتها إلى المخيم. وعندما رآه أبناء قبيلته ومعه امرأة من قبيلة أولاه، سألوه إذا ما كانت قبيلتها قد أعطته إياها. فأجاب: «لا، لقد خطفتها».

أضاف أبناء قبيلته: «حسناً إذن، سوف تلحق بها قبيلتها قريباً، عليك أن تحمي نفسك، ولتكن على علم بأننا لن نحارب من أجلك. ليس لك أي حق لتخطفها من دون أن تخبرنا. لدينا بنات من قبيلتنا وكان بامكانك اختيار زوجة منهن. ولكنك فضلت أن تخطف أولاه وتأتي بها إلى مخيم ويامبا. وعليك وحدك أن تتحمل العواقب».

وكما توقعوا سرعان ما قدمت قبيلة أولاه عبر السهل المقابل لمخيم ويامبا. ولم يبدُ عليهم أنهم قادمون بنوايا سلمية، أو حتى للتفاوض، فلم يكن بينهم نساء كما أنهم لم يكونوا يحملون غصون السلام، بل كانوا مسلحين بعتاد الحرب.

عندما رأت قبيلة ويامبا اقتراب أولاه، أمر رئيسهم ويامبا: «الآن يا ويامبا، من الأفضل أن تذهب وتلاقيهم في السهل وحدك. وعليك أن تحارب وحدك ولا تتوقع أن نساعدك».

اختار ويامبا اثنين من أكبر دروعه ولبس واحداً من الأمام، والآخر على ظهره، ثم حمل سلاحه وتقدم ليواجه أعدائه.

عندما ابتعد عن المخيم وكان لا يزال بعيداً عن جيوش أولاه صاح بهم: «تعالوا إلى هنا».

وجاءه الجواب وابلاً من الحراب والبمرنغ. وبينما كانت الحراب تئز في الهواء أخفى ويامبا رأسه ويديه بين الدروع فتجنب جميع الحراب.

وبعد أن سقطت الأسلحة على الأرض من دون أن تؤذيه. رفع رأسه وأخرج يديه وفتح ذراعيه وصاح مجدداً: «هيا، حاولوا مرة ثانية، أنا جاهز».

ومرة أخرى جاء الجواب وابلاً من الحراب والسهام التي تلقاها بالطريقة نفسها. في النهاية اقتربت جيوش أولاه وطوقته، مرغمة إياه على التقهقر باتجاه الغدير.

وظلوا يمطروه بالحراب وحاصروه من كل الجهات حتى لم يعد أمامه فرصة للهرب إلا أن يغطس في الغدير. استدار باتجاه الغدير، خلع دروعه ورمى أسلحته وقفز في الماء.

انتظرت جيوش أولاه وحرابهم مصوبة وجاهزة في أي لحظة يخرج رأسه من الماء. ولكن ذهب انتظارهم سدىً. وهكذا لم ير أحد ويامبا الأسود ولكن في جوف الماء رأوا كائناً غريباً.

كان ذلك الكائن له هيكل ثابت على ظهره يشبه الدرع وعندما يحاول أحد الامساك به يخفي رأسه وأطرافه داخل درعه. ولذلك قالوا: «لابدّ من أنه ويامبا».

وتلك كانت بداية ويامبا، أو سلحفاة الغدير.

الكاهن صانع المطر

حلّ الجفاف بالبلدة، فجفت الأنهار إلاّ من بعض الحفر العميقة، ويبس العشب وبدأت الأشجار تموت. كما أن الخيم المصنوعة من اللحاء قد هبطت على الأرض وتعفّنت لأنها لم تستخدم منذ زمن طويل، إذ أن السكان السود لا يستخدمونها إلا في أوقات المطر، في حين يستخدمون مظلات من غصون الأشجار في الأوقات الأخرى.

بدأ فتيان نون غابورا يتذمرون ويتهكمون، في البداية سراً بين بعضهم ثم علناً، ويقولون: «ألم يقل آباؤنا إن الكاهن يستطيع أن يجعل المطر يهطل في أي وقت يشاء؟ انظروا إلى قريتنا— لقد يبس العشب، ولم نعد نجد بذوراً للطحين، الكنغر يموت، ورحلت الأمو والبط والأوز إلى بلاد بعيدة، ونحن سوف نموت أيضاً ولن يبقى من قبيلة نون غابورا أحد. إذن لماذا لا يجلب الكاهن المطر، إذا كان بمقدوره ذلك؟».

وسرعان ما وصلت تهكماتهم إلى مسماع الكاهن الشيخ ولكنه لم يفه بكلمة. ولكن كان الفتيان يشاهدونه على مدار يومين أو ثلاثة أيام يخرج إلى حفرة الماء في الغدير حيث وضع فيها عصا طويلة مسننة ومزخرفة من قمتها بريش ببغاء الككتوه وبجانب العصا وضع غابورا، وهي عبارة عن حصوين كبيرين شفافين، كان يخفيهما دائماً في طيات حزامه أو في رباط بجانب وسادته. وكان يخفي هاتين الحصوين بشكل خاص عن النسوة.

في نهاية اليوم الثالث طلب الحكيم من الشبان: «خذوا أحجار الكومبو واقتطعوا لحاءً يكفي لبناء خيمة كبيرة تتسع لكل القبيلة».

بعد أن قطع الفتيان اللحاء كما أمروا وأحضروه إلى المخيم، أمرهم الحكيم: «الآن اختاروا وكر نمر عال وارفعوا الأرضية بمقدار قدم عن الأرض ثم انصبوا الخيمة، وجهّزوا الأخشاب والحطب والمواقد».

وبعد أن بنى الفتيان الخيمة ورفعوها عن الأرض، وجهزوا مزاريب الماء على سقف اللحاء، أمر الحكيم جميع من في المخيم من الرجال والنسوة والأطفال بأن يرافقوه إلى حفرة المياه في

الغدير. تبعه الجميع إلى حفرة المياه إلى حيث وضع العصا والغابيرا وعندما وصلوا إلى المياه قفز الحكيم في الماء ثم أمر الجميع بأن يقفزوا خلفه ففعلوا. لعب الجميع وتراشقوا بالماء.

وبعد قليل لحق الحكيم بأحد الأفراد، ثم بالآخر وهكذا حتى لف حول الجميع ونزع من مؤخرة رأس كل شخص خصلة من الشعر. وعندما كان يأتي من خلف كل شخص كان يبدو وكأنه يسحب رأسه إلى الخلف. وبعد أن أكمل جولته خلف الجميع وجمع خصلاً من الشعر، رمى الشعر في الماء ثم خرج من الماء بيد أن شاباً أمسكه بين ذراعيه ورماه في الماء من جديد. وكلما حاول الحكيم الخروج من الماء أعاده أحد الشبان إلى المياه حتى بدأ الحكيم يرتجف فكانت تلك إشارة لكي يترك الجميع الغدير.

أرسل الحكيم جميع الصغار إلى داخل مظلة من الغصون وبقي هو ورجلان شيخان وامرأتان عجوزان في الخارج. كانوا يحملون متاعهم على ظهورهم، أحجار الديرول وكل شيء وكأنهم يستعدون للرحيل. كان أولئك المسنون يتجولون حول المظلة بلا صبر كأنما ينتظرون إشارة لينطلقوا إلى مكان ما. ولم يطل انتظارهم حتى رأوا الإشارة التي ينتظرونها فقد ظهرت في الأفق غيمة سوداء كبيرة، ثم تبعها الكثير من الغيوم. بدأت الغيوم

ترتفع رويداً رويداً في السماء حتى التقت جميعاً وأصبحت قريبة جداً من الأرض مشكلة غطاءً كبيراً من الغيم المحمل بالمطر. وعندما رأى المسنون الغيمة أصبحت ثابتة فوق رؤوسهم ذهبوا إلى المظلة وأيقظوا جميع الأطفال ودعوهم للخروج من الخيمة والنظر إلى السماء.

وبعد أن نهض الجميع أمرهم الحكيم بأن يجمعوا متاعهم بسرعة ويذهبوا إلى الخيمة التي صنعوها من اللحاء.

ولم يكد الجميع يأوي إلى الخيمة حتى سمعوا هدير الرعد، ثم تبعته أصوات الصواعق التي كانت تومض عبر السماء ثم هدير قوي للرعد وهكذا دواليك. وفجأة لمع برق أضاء من السماء إلى الأرض وتبعه صوت مخيف ظن معه السود بأن الصاعقة ضربت مخيمهم. كانت الصاعقة بالفعل قد ضربت شجرة في الجوار. مما بث الخوف بالجميع وجعلهم يتشبثون ببعضهم بعضاً في خيمتهم، حتى الكلاب ربضت بجانب أصحابها.

«يبدو أن الصاعقة سوف تقتلنا»، كانت النسوة يصرخن، أما الرجال الذين لم يكونوا أقل خوفاً فقد ظلوا صامتين.

وحده الحكيم لم يكن خائفاً، وقال: «سوف أخرج، وأمنع العاصفة من إيذائنا. وأمنع البرق من الاقتراب أكثر».

وخرج الحكيم من الخيمة ووقف عارياً يواجه العاصفة. ومع هدير الرعد ولمع البرق كان الحكيم يصدح بالغناء: «غيريموري، موري، ديريموري، موري، موري» الخ.

وكان مفاد الأغنية أن تبعد البرق والرعد عن المخيم.

وسرعان ما هدأ هدير الرعد، وهبّ نسيم ناعم حرّك الأشجار لدقائق، ثم حل هدوء مطلق. وبعدها بدأت علائم المطر ثم بدأ زخ المطر مدراراً وتواصل الهطول لبضعة أيام.

وفي الوقت الذي كان فيه المسنون يدورون حول المظلة، وحالما رأى الحكيم الغيوم تتجمع في السماء، كان قد ذهب إلى الغدير واستعاد العصا والحجرين، ذلك أن ظهور الغيم يعني أنهم أنجزوا مهمتهم.

وبعد أن توقف المطر وعادت الخضرة إلى القرية من جديد، بدأ السكان السود يحتفلون ويرقصون ممتدحين مهارة الحكيم جالب المطر إلى قبيلة نون غابورا.

غير أن الحكيم لم يعر انتباهاً لمدحهم ولاذ بالصمت تماماً كما فعل حين سمع تهكمهم. ولكنه اعتزم أن يثبت لهم أن قوته عظيمة. استدعى الحكيم كهنة القبائل المجاورة وبعد بعض المشاورات، أمر القبائل بأن تذهب إلى غوغوروين والتي كانت في ذلك الحين سهلاً جافاً تحيط به الأشجار المقدسة والكثيبة والتي كانت في عهد مضى بشراً من السكان السود.

وبعد أن خيمت جميع القبائل على حواف السهل، قام الحكيم وصانعو المطر من القبائل الأخرى بجعل المطر يهطل فوق السهل ويملأه بالماء.

وبعد أن امتلأ السهل بالماء وتحوّل إلى بحيرة، قال الحكيم لفتيان قبيلته: «خذوا شباككم واذهبوا للصيد في البحيرة».

أجاب الفتيان: «وماذا سنصطاد؟ فالبحيرة امتلأت بمياه المطر وليس من فيضان النهر، وهذا حدث في الأمس فقط فهل يعقل أن تكون فيها أسماك؟».

أجاب الحكيم: «اذهبوا للصيد، كما أمرتكم، وإن عدتم وشباككم فارغة فإن الحكيم لن يكلم رجال قبيلته بعد اليوم، بل سوف يذهب مع النسوة لاحضار العسل واليام».

ولم يقنع كلام الحكيم الشبان ولكن ذهبوا كما أمرهم إكراماً منهم للرجل الذي حول بلدتهم من صحراء إلى جنة للصيادين. أخذوا شباكهم ورموها في البحيرة. وفي أول مرة حاولوا فيها رفع الشباك، وجدوها ثقيلة ومحملة بالعديد من أنواع السمك، غودو وميري وتاكي وبانميلا. كان الصيد وفيراً يكفي لجميع القبائل وكلابهم ويزيد.

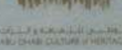
اجتمع كبار رجال المخيم وقرروا أنه بما أن الموسم وفير وقد حلّ الرخاء بكل مكان فإنهم يعتزمون إقامة مهرجان البورا لكي يتسنى لفتيانهم أن ينتقلوا إلى مرحلة الرجولة. ولكن يجب أن يبقى الأمر سراً على النسوة. وهكذا بدأوا بتجهيز مكان البورا على إحدى التلال القريبة من المخيم.

وبهذا كان مهرجان البورا في غوغوريون، وكان الأكثر شهرة لأنه جاء إثر نجاح الحكيم في جلب المطر.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة








ISBN 978-9948-01-315-0